الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الموضوع:

التأسيس الفلسفي للفكر السياسي الليبرالي المعاصر

جون رولز أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب:
بورنان مصطفى

إشراف الأستاذة:
بورنان خيرة

السنــة الجامعيــة: 2016/2015

بسم الله الرحمن

الرحيم

شكر جزيل لكل من مد لي يد العون لإتمام هذا العمل ولو بكلمة

وأخص بالذكر هنا الأستاذة الكريمة " بورنان خيرة "التي صبرت علي

وشجعتني على خوض غمار هذا الموضوع الرحيب كما أتقدم بجزيل

الشكر لكافة أساتذة قسم الفلسفة لجامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الذين أتاحوا لنا كل سبل المعرفة الممكنة طيلة المشوار الدراسي .

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى

الشمعتان اللتان احترقتا لتنيرا دربي،اللذين لا أستطيع أن أصف

لهما مقدار حبي ... إلى

أمي و أبي

إلى إخوتي و أخواتي اللذين كانوا عونا لي و سندا ولن أنسى

فضلهم علي حتى ... الممات

إلى جميع أساتذتي الكرام وجميع زملائي

مقدمة

يشهد مجال الفلسفة السياسية دراسات كثيرة خاصة منها السياسة الليبرالية المعاصرة والتي دار حولها جدل كبير ،يرجع هذا للأعمال الكثيرة التي أبدعها العديد من الفلاسفة الليبراليين الذين يبحثون دائما عن دفع المجتمعات الليبرالية للأمام سعيا إلى الرقي والتقدم والحياة الكريمة والسعيدة من خلال مجموعة من المشاريع ،والتي يرى فيها كل واحد منهم أن مشروعه هو السبيل إلى الرقي ومن بين هؤلاء الفلاسفة نجد الفيلسوف الليبرالي المعاصر جون رولز.

ويعد جون رولز من بين الوجوه البارزة في الفلسفة السياسية المعاصرة ،خاصة بعد أن أعاد فتح مجال سؤال الأخلاق والسياسة داخل المجتمعات الغربية من خلال مشروعه السياسي ،الذي جوهره نظرية العدالة ،والذي حاول من خلاله ترسيخ فضيلة العدالة داخل المجتمعات الليبرالية .

كما سعى جون رولز من خلال مشروعه هذا إصلاح ما خلفته الليبرالية السياسية من أزمات داخل المجتمعات الغربية وبالخصوص المجتمع الأمريكي ،وما خلفته من خلاف وصدام بين الشعوب والأمم العالمية.

وبالنظر لأهمية المشروع السياسي لجون رولز في مجال الفلسفة السياسية المعاصرة كان اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ " **التأسيس الفلسفي للسياسة الليبرالية المعاصرة جون رولز أنموذجا** ".

وقد تناولنا هذا الموضوع من خلال الإشكالية التالية :

ما هو مضمون المشروع السياسي لجون رولز؟و هل يمكن أن يكون المشروع السياسي لجون رولز كفيلا لإخراج المجتمعات الليبرالية من حالة اللاعدل وتغيير ذهنية أفراده والوصول بالمجتمع الدولي إلى التخلص من التصادم والخلافات ،التي يشهدها الآن وبناء مجتمع شعوب تحكمه العدالة والمساواة بين الشعوب؟

وقد تناولت هذه الإشكالية من خلال تقسيم البحث إلى ثلاث فصول وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول: والذي عنونته بـ " **الليبرالية ومعضلة العدالة** " :قسمت هذا الفصل إلى مبحثين .

الأول خصصته للتعريف بالليبرالية وأسسها وأطوارها ،ومجالاتها ،وواقع العدالة فيها،أما المبحث الثاني فقد خصصته للتعريف بجون رولز،و أهم أعماله ،ومرجعيته الفكرية .

الفصل الثاني :الذي عنوته بـ" **نظرية العدالة عند جون رولز**" : قسمته إلى ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول نقد جون رولز للمذهب النفعي مفهوم العدالة ،أما في المبحث الثاني فقد تحدثت عن فكرة الوضع الأصلي ،وحجاب الجهالة ،وهنا تكون عملية التفاوض للوصول إلى مبادئ العدالة والذي هو عنوان المبحث الثالث.

الفصل الثالث : والذي جاء تحت عنوان "**قانون الشعوب وتجسيد العدالة الكونية** ":والذي قسمته إلى ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول مفهوم قانون الشعوب ومبادئه ،وفي المبحث الثاني تكلمت عن أنواع الشعوب ،أما المبحث الثالث فهو يتكلم عن الآليات التي تتعامل بها الشعوب فيما بينها.

وتوصلنا في النهاية إلى خاتمة وضعنا فيها حوصلة من النتائج التي وصلنا إليها من خلال هذه الفصول.

أما بالنسبة للمنهج المتبع فقد كان المنهج التحليلي الذي توخينا منه الاقتراب من فكر الفيلسوف وتتبع أصول ومنابع أفكاره وشرح معالم وأسس مشروعه السياسي.

وعن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع بالذات فيمكن تقسيمها إلى قسمين:

- أسباب ذاتية: تتعلق بحب التطلع على الفكر الفلسفي الأمريكي خاصة منه الفكر الفلسفي لجون رولز ومعرفة مضامينه نظرا للمكانة التي احتلها وشهرته الواسعة في ساحة الفلسفة السياسية .
- وأسباب موضوعية :تتعلق بما تعانيه غالبية شعوب العالم من غياب للعدالة وللحقوق والحريات فلعل مشروع جون رولز يكون الحل لهذه المشاكل وعليه فإن شخصية مشهورة كجون رولز تجلب الانتباه وتكون مادة دسمة للبحث والتحليل بحثا عن الاستفادة وبحثا عن الحلول للمشاكل التي نعانيها.

الفصل الأول: الليبرالية ومعضلة العدالة

المبحث الأول: في الليبرالية

أولا: مفهوم الليبرالية وأسسها

ثانيا: الليبرالية من الطور الكلاسيكي إلى الطور المعاصر

ثالثا: الليبرالية وواقع العدالة

المبحث الثاني : جون رولز حياته ومرجعيته الفكرية

أولا :حياته

ثانيا :أعماله

ثالثا :مرجعيته الفكرية

المبحث الأول :في الليبرالية

إن كل مذهب من المذاهب المتعارف عليها حاليا له أسسه الفكرية ومميزاته الخاصة التي تميزه عن غيره من المذاهب الأخرى والتي تحدد الدعائم الكبرى التي يقوم عليها هذا المذهب كما تشكل سائر النقاط المشتركة بين سائر اتجاهاته وتياراته ومن بين المذاهب التي تشهد اليوم دراسة كبيرة وحضورا بارزا على الساحة الفكرية وعلى الساحة الدولية نجد المذهب الليبرالي الذي يعتبر المذهب المتبع من أقوى دول العالم ، فما هي الليبرالية وما هي أسسها ومجالاتها ؟

أولا :مفهوم الليبرالية وأسسها

1 – مفهوم الليبرالية:

نبدأ أولا بالإقرار بأن مفهوم الليبرالية يتبدى – سواء في طرحه الفلسفي أو السياسي أو الاقتصادي – مفهوما زئبقيا ينفلت من التحديد والتعريف ،مفهوم مخاتل غارق في الالتباس[1]،لهذا لا يمكن الإجماع حول تعريف واحد .

يحلو لدعاة المذهب الليبرالي اختزال الإجابة على سؤال :ما الليبرالية ؟ في القول بأنها:مذهب الحرية[2]، وكلمة ليبرالية اشتقت من كلمة liber وهي كلمة لاتينية تعني الحر[3]،وهي مصطلح أجنبي معرب مأخوذ من libéralism في الانجليزية و libéralisme في الفرنسية وهي تعني التحررية ويعود اشتقاقها إلى liberty في الانجليزية أو liberté في الفرنسية ومعناها الحرية[4].

هذا من جانب التعريف اللغوي لليبرالية ومن الناحية الاشتقاقية للكلمة التي يجمل الجميع على أنها تعني الحرية والتحرر.

---

[1] الطيب بوعزة :نقد الليبرالية ،دار تنوير للنشر والاعلام ،مصر ،2013 ،ص23.

[2] نفسه :ص 22.

[3] مصطفى حسيبة :المعجم الفلسفي ،دار أسامة للنشر والتوزيع ، الاردن ،2009،ص549.

[4] سليمان بن صالح الخراشي : حقيقة الليبرالية وموقف الاسلام منها ،ص12.

أما من الناحية الاصطلاحية والفلسفية فيعرفها لالاند بأنها :

— مذهب سياسي يرى أنه من المستحسن أن تزداد إلى أبعد حد ممكن استقلالية السلطة التشريعية و القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية — التنفيذية — وأن تعطى للمواطنين أكبر قدر من الضمانات في مواجهة تعسف الحاكم .

– مذهب سياسي فلسفي يرى ان الاجماع الديني ليس شرطا لازما ضروريا لتنظيم اجتماعي جيد ، ومذهب يطالب بحرية التفكير لكل المواطنين .

– مذهب اقتصادي يرى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى وظائف صناعية ولا وظائف تجارية وأنها لا يحق لها التدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الافراد والطبقات والأمم .

– مذهب يرى بضرورة احترام استقلالية الأخر ،تسامح ،ثقة في الآثار الجيدة للحرية[1].

وعليه يمكن القول أن الليبرالية فلسفة سياسية واقتصادية ترتكز على أولوية الفرد بوصفه كائنا حرا عاقلا ،فمقولة الحرية هي المقولة المركزية التي يحرص المذهب الليبرالي على إبرازها إذا فالليبرالية تعني حرية الاعتقاد وحرية التفكير وحرية التعبير وحرية الفعل الاقتصادي وحرية التجمع والتمثيل السياسي أي الحرية في جميع مجالات الحيات الفكرية والسياسية والاقتصادية،كما يمكن القول أن الليبرالية مذهب سياسي ظهر في أوربا يعارض المؤسسات السياسية والدينية التي تحد من الحرية الفردية ،وينادي بأن الإنسان كائن خير عقلاني ويطالب بحقه في التعبير وتكافؤ الفرص والثقافة الواسعة .

وكون كل مذهب يقوم على مجموعة من الأسس تميزه عن غيره من المذاهب ،تختص الليبرالية بثلاث أسس وهي :الحرية ،الفردية ،العقلانية.

[1] أندري لالاند :موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة خليل أحمد خليل،المجلد الأول،منشورات عويدات ،بيروت،ط 2 ،2001 ،ص725 -726.

2– أسس الليبرالية:

– **الحرية** : إن الليبرالية ترى أن الفرد حر في أفعاله ،ومستقل في تصرفاته ،دون أي تدخل من الدولة أو غيرها،فوظيفة الدولة حماية هذه الحرية ،و توسيعها ،وتعزيز الحقوق ،واستقلال السلطات وإعطاء الأفراد أكبر قدر من الضمانات ،في مواجهة التعسف ،والظلم الاجتماعي.

هذه الحرية اعتنى بها الفكر الليبرالي،باعتبارها موضوعا سياسيا،يتعلق بالعلاقة بين الفرد والدولة،وعلاقة الفرد بالآخرين،والحرية بهذا الاعتبار ذات طابع واقعي عملي[1]،وعليه تعد الحرية أولى الأسس الليبرالية فالليبراليون يتفقون بالإجماع على كون الحرية كشرط أساسي في المجتمعات حيث يمنحون الفرد الحق في الحرية في التعبير والرأي والملكية والتمتع بالحقوق والحياة وهذا ما نجده راسخا في تعاليم الليبرالية فلا يقبل انتهاك هذه الحرية كما توجب الليبرالية حفظها وصيانتها لكن تظهر مشكلات أمام الحرية ولعل أهمها هو كيفية ضمان التوزيع المتساوي للحريات للجميع دون تفضيل فئة على فئة أخرى وهذا ما نشهده اليوم.

– **الفردية** : الفردية هي السمة الأساسية الأولى لعصر النهضة ،فها هو عصر النهضة يأتي كرد فعل لفكر القرون الوسطى ويتحرر الفرد من سيطرة الكنيسة ،وقد ارتبطت الفردية بالحرية ارتباطا وثيقا فأصبحت الفردية تعني استقلال الفرد وحريته ،وقد جاءت الفردية بمعنيين الأول تعني فيه الفردية الأنانية وحب الذات وهذا المعنى هو الذي غلب على الفكر الغربي والثاني تعني فيه الفردية استقلال الفرد من خلال العمل المتواصل والاعتماد على النفس وهذا هو الاتجاه البراغماتي وهو مفهوم حديث للفردية[2]،حيث يعيد الليبراليون للفرد فرديته وذاته التي كانت مسلوبة من خلال سيطرت الكنيسة ورجال الدين على كل مجالات الحياة حيث كان الفرد مجرد تابع لكل اوامر ونواهي رجال الدين والكنيسة وعليه تعيد الفردية للفرد فاعليته وحريته في المجتمع وتمنحه استقلالية من أي سلطة ومن أي موروث قديم،إلا أن هذه الفردية تجعل الفرد ينغمس في حب الذات والأنانية وتجعله يبحث عن المادة وبحث تحقيق مصالحه الخاصة.

[1] سليمان بن صالح الخراشي : حقيقة الليبرالية وموقف الاسلام منها،ص 20–21.

[2] نفسه:ص 22.

– **العقلانية** : استقلال العقل البشري بإدراك المصالح والمنافع،دون الحاجة إلى قوى خارجية وقد تم استقلاله ، نتيجة تحرره من الاعتماد على السلطة اللاهوتية الكنسية الطاغية ،وعليه تعني العقلانية الاعتماد على العقل ،وتحييد الدين جاء بصورة متدرجة ،ولكنه استحكم في عصر التنوير وزاد ترسيخه كمصدر وحيد للمعرفة ،في القرن التاسع عشر الذي هو قمة الهرم الليبرالي ،وقد أصبح الاعتماد على العقل المجرد ،وإقصاء الدين والقيم والأخلاق سمة ،من أبرز سمات الفكر الأوربي المعاصر[1].

ومن هنا نفهم أن العقلانية تعني اعتماد الفرد على عقله في الوصول إلى جميع المصالح والمعارف والمنافع دون انتظار رجال الدين وعليه فإن هذا الأساس يخالف ما كان سائدا أيضا في العصور الوسطى ويطلق العنان للعقل الذي كانت فاعليته محجوزة ومجمدة وإذن يعد العقل هو مصدر المعرفة ومصدر الوصول إلى المصالح والمنافع.

ثانيا :الليبرالية من الطور الكلاسيكي إلى الطور المعاصر

1– الليبرالية الكلاسيكية التقليدية :

وهنا تعود نقطة نضوجها وظهورها في بداية العصر الحديث في أوربا حيث كان الإنسان يعاني من انتهاك صارخ لحقوق الإنسان وكرامته تحت وصاية الدين والإقطاع والملكية حيث عملت هذه الوصاية على تحطيم الإنسان الغربي وقلصت مساحة حريته إلى أدنى الحدود [2] ،وهذا ما شهدته العصور الوسطى الأوربية التي كانت فترة انتهاك الحريات الفردية – الفكرية والسياسية و ألاقتصادية – فقد كان الفكر حكرا على أصحاب الكنيسة نفس الشيء بالنسبة للاقتصاد والسياسة حيث كانت الكنيسة هي مصدر كل القرارات في كل المجالات ،وعلى الفرد تقبلها والعمل بها دون أي اعتراض فقد كانت القاعدة في ذلك الوقت اعتقد ولا تنتقد،هذا ما جعل الإنسان الأوربي في ذلك الوقت مجرد دمية تحرك خيوطها الكنيسة والإقطاعية .

[1] سليمان بن صالح الخراشي : حقيقة الليبرالية وموقف الاسلام منها،ص 22–23.

[2] هاله صدقي ناصر الساعدي :الليبرالية والأخر، رسالة ماجيستار غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة الكوفى ،العراق ،2011،ص15.

فقد طمست الكنيسة كل معالم الحريات والحقوق الإنسانية الأساسية التي منحتها الطبيعة للإنسان كما يقول جون لوك :"للطبيعة قوانينها التي يخضع لها كل إنسان فالجميع متساوون مستقلون وليس لأحد أن يسئ إلى أخيه في حياته أو صحته أو حريته أو ممتلكاته لذا تختفي مظاهر التبعية التي تدفع بعضهم إلى الرغبة في السيطرة على الآخرين والإضرار بهم "[1]وهنا يقر جون لوك بأن الناس ولدوا أحرارا ،وأن الطبيعة هي التي منحتهم هذه الحرية ولهذا يجب أن يعيشوا أحرار ولهم الحق في التمتع بحرياتهم وممتلكاتهم ولا يحق لأي شخص مهما كان الاعتداء على هذه الحقوق والحريات الأساسية ،كما لا يحق السيطرة على الأفراد والإضرار بهم.

ويعد جون لوك من أبرز فلاسفة الليبرالية الكلاسيكية حيث نجد أن نظريته تتعلق بالليبرالية السياسية وتنطلق من فكرة العقد الاجتماعي في تصوره لوجود الدولة،حيث يرى أن الدولة نشأت لحماية حقوق البشر وحرياتهم التي منحتها إياهم الطبيعة يقول في هذا جون لوك : << إن الدولة إنما نشأت لحماية حقوق كانت قائمة وتنازل الفرد عن جزء من حقوقه إنما ليضمن لنفسه التمتع بما بقي له من حقوق وحريات أساسية>>[2]،ومن هنا نصل إلى القول بأن اسم جون لوك قد برز بشكل كبير في الليبرالية الكلاسيكية خاصة في المجال السياسي فقد دافع هذا الأخير عن الحرية وعن الحقوق والحريات السياسية للأفراد ورأى بضرورة منح الفرد الحرية الكبيرة وجعل الحكم بيد الشعب ومنحه السلطة الأولى.

أما في المجال الاقتصادي فقد برز آدم سميث ،الذي ركز بدوره على الحرية المطلقة في المال دون تدخل أو تقييد من الحكومة أو الدولة كما يصر الليبراليون الكلاسيكيون على النظام الاقتصادي القائم على الملكية الخاصة لأنه يتفق مع الحرية الفردية وهذه الخاصية تصر على أن الملكية هي الخاصية الوحيدة لحماية الحرية[3].

[1] جون لوك :الحكومة المدنية ،ترجمة محمود شوقي الكيال،الدار القومية للنشر والطباعة،مصر، ص15.

[2] نفسه :ص7.

[3] هاله صدقي ناصر الساعدي :الليبرالية والآخر،ص17.

ومن هنا يقر الليبراليون الكلاسيكيون أن مسألة الاقتصاد تقوم على الحرية المطلقة للأفراد ولا يجوز تدخل الدولة في الاقتصاد كما يركزون على الملكية الخاصة التي هي في نظرهم الكفيلة بتجسيد الحرية للأفراد وتجعلهم أحرارا في معاملاتهم الاقتصادية وهذا ما يجسده شعار آدم سميث "دعه يعمل دعه يمر" .

وخلاصة القول أن هذا الطور هو الطور الأقدم من الليبرالية حيث يعتمد هذا الطور على الحرية الفردية ،ويمنع تدخل الدولة وغيرها سواء في الاقتصاد أو غيره ،ويعتقد الليبراليون الكلاسيكيون أن ترك الفرد يحقق مصلحته الذاتية الخاصة كفيل بتحقيق المصلحة العامة للمجتمع بشكل طبيعي دون تدخل بشري.

2 – الليبرالية المعاصرة:

تبدأ هذه المرحلة من الليبرالية في مطلع القرن العشرين وفي هذا الطور انتبه الليبراليون إلى أهمية دور الحكومة في حماية حريات الأفراد وهذا ما لم يوجد في الطور السابق ،حيث أصبح دور الحكومات هو تنظيم الحريات من جهة الاقتصاد ومن جهة أخرى[1]– السياسة والفكر –.

وارتبط هذا الطور ببروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة سياسية واقتصادية وفكرية مهيمنة على العالم خاصة في ظل الأحادية القطبية وغياب منافسيها.

ومن هنا نصل إلى القول أن الليبرالية الجديدة هي إيديولوجيا الولايات المتحدة الأمريكية حيث تلعب الولايات المتحدة الأمريكية دورا رئيسا في صياغة هياكل القوة الاقتصادية من خلال قوتها السياسية والعسكرية ،أصبحت هي المصدر الوحيد لكل التشريعات التي تخص كل مجالات الحياة حيث أصبحت تعمل على أن تجعل العالم يمشي ويسير وفق ما تراه هي أي أمركة العالم.

وتقوم الليبرالية الجديدة أي الليبرالية الأمريكية على المنهج النفعي –المنهج البراغماتي – "الذي يرى أن مبدأ السعادة الأكبر،مجموع التلبيات الأكبر "[2].

[1] سليمان بن صالح الخراشي :الليبرالية وموقف الإسلام منها،ص 45.

[2] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر،ترجمة عادل العوا ،دار عويدات للنشر والطباعة ،لبنان،2001،ص97.

ومن خلال ما سبق نفهم أن الليبرالية الجديدة تقوم على فكرة المنفعة أو المصلحة أي تقوم على البحث الدائم على النافع وتحقيق المصلحة واللذات في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والفكري ومن هنا نصل إلى مجالات الليبرالية وهي الليبرالية الاقتصادية والليبرالية الفكرية والليبرالية السياسية والتي هي موضوع بحثنا هذا ،وحديثنا عن الليبرالية يعني حديثنا عن الليبرالية السياسية والليبرالية الاقتصادية وبصفة عامة الليبرالية في جميع المجالات لأن التنظير السياسي أو حديثنا عن الليبرالية السياسية يعني حديثنا عن منهج القوانين التي تسير بها المجتمعات الليبرالية في شتى مجالات الحياة وعليه إن حديثنا عن واقع الليبرالية يعني حديثنا عن واقع الليبرالية السياسية المعاصرة بالضرورة وهذا ما سنسلط الضوء عليه في العنصر التالي.

ثالثا – الليبرالية وواقع العدالة

تشهد المجتمعات الغربية الأوربية تمجيدا كبيرا للحرية الفردية تماشى هذا التمجيد مع العصور وهذا ما نجده واضحا في الولايات المتحدة الأمريكية ويظهر هذا التمجيد في شتى مجالات الليبرالية الاقتصادي منها والسياسي ويرجع هذا التمجيد للحرية الفردية إلى المنهج النفعي المعتمد في هذه الدولة خاصة وسائر الدول الأوربية عموما ،إلا أن هذا التمجيد للحرية خلف ظهور ما يعرف بالتفاوت و اللامساوات أي ظهور اللاعدل وبالأحرى ظهور نزاع بين الحرية – الليبرالية – والعدالة ويرجع هذا النزاع كما ذكنا سابقا إلى تبني الولايات المتحدة الأمريكية المذهب النفعي .

حيث نجد أن الإرهاصات الأولى للمذهب المنفعة العامة تمثلت في بعض كتابات دفيد هيوم ثم قام جرمي بنتام بتطويرها ،كما نجد أن الكثير من فلاسفة الأخلاق حملوا لواء مذهب المنفعة العامة وراحوا ينادون بما نادى به روادها من أنه ينبغي على كل إنسان أن يراعي في كل فعل من أفعاله أن يكون هذا الفعل منتجا لأكبر قدر من السعادة[1].

[1] أنطوني ديك رسبني وكينيث مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ،ترجمة نصار عبد الله ،منشورات الهيئه العامة المصرية للكتاب،مصر،1996،ص133-134.

حيث نجد أن أنصار المذهب النفعي يرون في المنفعة السبيل إلى تحقيق السعادة وهذا ما يؤكده جون ستيوارت ميل في كتابه النفعية بقوله : << بالنسبة للنظرية النفعية النافع ليس أداة بل يدل على أمر أخلاقي يتمثل في السعي لتحقيق أكبر سعادة ممكنة لأكبر عدد من الناس >>[1] وهذا هو الشعار الذي دافع عنه أنصار المذهب النفعي والذي يعني جلب أكبر قدر من السعادة لأكبر قدر من الناس ،وهذا ما اتبعته الدول الليبرالية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأخيرة التي سيطر فيها المذهب النفعي على كل مجالات الحياة فيها وأصبح مقياس النجاح في كل شيء هو ما يخلفه الفعل من منفعة هذا ما دفع الجميع للبحث عن المنفعة بجميع الطرق .

ومن هنا نفهم أن المنفعة سيطرت على الليبرالية وأصبحت هي مصدر تعاليمها والسبيل إلى تقدمها وتطورها ومقياسا للمفاضلة بين الشعوب حيث تسلم النفعية بفكرة أن مجتمعا ما أفضل من الأخر إذا وفر كثيرا من المصلحة والمنفعة والخير لمجموعة من المواطنين [2] ، ومن هنا أصبح تبني المذهب النفعي هو السبيل إلى التطور وهذا ما يظهر لنا من خلال رؤيتنا السطحية لواقع الولايات المتحدة القوة الليبرالية الأولى في العالم والتي تدين بتطورها هذا لمنهجها النفعي لكن هذا المذهب يحمل في طياته آفات كثيرة تضرب البنية الاجتماعية للمجتمعات الليبرالية ومكمن الخطورة في "أن المذهب النفعي يهتم فقط بمقدار المنفعة واللذة والمصلحة دونما اعتبار لكيفية توزيعها على الأفراد بمعنى آخر إن ما يهم هو حجم الكعك حتى وإن لم يحصل البعض سوى على جزء بسيط منها"[3] ومن هنا نستنتج أن النفعية تبيح استمتاع مجموعة على الأخرى فما يهمها هو استمتاع الأغلبية – أكبر قدر من الناس – وهذا ما يخالف العدالة و المساواة و يزيل فكرة الإنصاف كما يجسد المذهب النفعي فكرة الفردانية الت تؤدي إلى التشرذم والأنانية داخل المجتمع كما تؤدي إلى التصادم بين الناس وبين المجتمعات وتؤدي المنفعة إلى قتل روح التعاون بين الناس.

[1] جون ستيوارت ميل :النفعية ،ترجمة سعاد شاهرلي حرار، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، 2012 ، ص23.

[2] جان فرنسوا دورتي : فلسفات عصرنا،ترجمة إبراهيم صحراوي،منشورات الاختلاف،الجزائر،2009 ،ص 206 .

[3] نفسه:ص 206 .

فالكل يصبح يبحث عن مصالح الخاصة دون مراعاة حقوق الآخرين في الوصول إلى هذه الحقوق ومن هنا تسير النفعية بالإنسان إلى التجرد من معالم إنسانيته ومن هنا تقود النفعية المجتمعات إلى التجرد من الجانب الروحي الأخلاقي هذه كل المعضلات التي ألحقتها النفعية بالمجتمع الأمريكي ولعل ابرزها هي معضلة غياب العدالة التي خلفت ظهور فوارق اجتماعية كبيرة فطبقة مالكة تعيش الرفاهية وطبقة محرومة تعيش التعاسة والمعانات .

ويرجع كل هذا إلى الحرية المفرطة و إلى غياب العدالة هذا ما جسد التفاوت و اللامساواة وتعد هذه أعظم معضلة جابهت الليبراليين حيث حازت على اهتمام الكثير من المفكرين والفلاسفة .

ويعد الفيلسوف الليبرالي الأمريكي جون رولز من بين الفلاسفة الذين حاولوا فك شفرة هذه المشكلة من خلال مشروع سياسي أخلاقي خلدته وحملته جميع أعماله ،لكن قبل التطرق إلى المشروع الفلسفي لجون رولز يتوجب علينا التعريف بشخص هذا الفيلسوف الذي تشكلت حول أعماله دراسات كثيرة كما جلبت اهتماما بالغا على الساحة الفلسفية العالمية فمن هو جون رولز ؟ وما هي أهم أعماله ؟

المبحث الثالث: جون رولز حياته ومرجعيته الفكرية

أولا: حياته

جون رولز JOHN RAWLS (1921-2002)

ولد جون رولز في مدينة بالتيمور بولاية ماريلاند سنة 1921 كان والده وليام لي محاميا بارزا أما أمه أنا آبل فكانت رئيسة لرابطة النساء الناخبات ،تلقى جون رولز في شبابه تكوينا دينيا جيدا اختار جون رولز دراسة الفلسفة عند دخوله لجامعة برينستون في سنة 1939 ، كان رولز يتصف بالمواظبة على العمل وقوة الذاكرة والالتزام الفكري [1].

[1] مجموعة مؤلفين :الفلسفة الغربية المعاصرة،ج 2 ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،2013،ص 1211 .

ناقش رولز سنة 1950 أطروحته للدكتوراء بعنوان "**فحص عناصر المعرفة الأخلاقية :تيارات حول أخلاق الميزاج مع الإشارة إلى الحكم**"وهي الأطروحة التي تناول فيها أغلب المواضيع التي عمل على تطويرها فيما بعد[1] .

تدرج بعدها في عدة مناصب تعليمية منها أستاذ بقسم الفلسفة بجامعة برينستون وفي جامعة أوكسفورد [2]،وقد كانت مسيرته حافلة وتعد أهم حادثة أكاديمية حصلت له سنة 1971 حيث أصدر كتابه "**نظرية العدالة** " وقد كان هذا أثره الأشهر وأكثر الكتب تأثيرا في العلوم الإنسانية قاطبة وبيع منه ما يقارب مليون نسخة [3]،كما نجد أن فكره كان مجسدا للنضال من أجل الحقوق المدنية للسود الأمريكيين ومحاربة الفقر والحرب في فيتنام والموضوعات التي كانت مادة لنقاشات كبرى في الولايات المتحدة الأمريكية [4].

وإن كان جون رولز معروفا بدفعاته عن الليبرالية ومتصديا لمنتقديها إلا أنه كان فيلسوفا حرا وغير متعلق بالحكومة الأمريكية،فقد أدان الحكومة الأمريكية في حربيها على فيتنام ودخولها هذا البلد وبمشاركته في مظاهرات ضد الحربين أظهر كراهيته للحربين كما أدان استعمال الأسلحة النووية وقتل الأبرياء في الحربين ووصف تلك الحروب بأنها غير عادلة ،إضافة إلى هذا فقد كان يحاول إقامة الاصلاحات السياسية ولاجتماعية اللازمة في المجتمع الأمريكي[5].

وعليه فقد أعاد جون رولز من خلال افكاره سؤال الأخلاق إلى الساحة السياسية من خلال نظريته في العدالة التي جاءت في إطار الحملة الاصلاحية الرولزية للمجتمع الأمريكي باحثا تقديم مشروع سياسي جديد يضمن العدالة ويمحى كل مظاهر اللاعدل والتعسف ويقضي على الفردانية والأنانية والتشرذم وهذا ما حاوله جون رولز من خلال كل أعماله.

---

[1] مجموعة مؤلفين :الفلسفة الغربية المعاصرة ،ص 1211.

[2] نفسه :ص 1212 .

[3] تحسين حمه غريب : فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة،منشورات منتدى اقرأ الثقافي،2009،ص 17 .

[4] جان فرنسوا دورتي : فلسفات عصرنا ،ص 206 .

[5] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص 19.

ثانيا :أعماله

إن كل إنسان على وجه الأرض يخلد أو ينسى انطلاقا من ما خلفه هو من أعمال تركها شاهدة عليه ولهذا فإن أثر الشخص يكون من خلال أعماله فإذا كانت ذات قيمة وأثر وساهمت في تحريك الرأي العام وحملت في طياتها الإصلاح والسبل إلى ذلك ،كان صاحبها ذو شأن وهذا ما نجده عند الفيلسوف الأمريكي جون رولز الذي كانت كل أعماله ذات قيمة عالية حركت وجلبت الأنظار حولها حيث جعلت أعماله العديد من الباحثين والأساتذة يصفونه بأنه أعظم فيلسوف سياسي في القرن العشرين ،ومن بين أهم أعماله مؤلفاته مايلي:

- **كتاب نظرية العدالة سنة1971** : إنه الكتاب الأشهر لجون رولز قيل في وصفه أنه الكتاب الأكثر تأثيرا في مجال الفلسفة السياسية في القرن العشرين،كما وصفته إحدى المجلات الفلسفية المتخصصة بأنه أعظم عمل فلسفي في فلسفة الأخلاق والسياسة في القرن العشرين وأنه ليس على المتخصصين دراسته فقط بل على الحكومات أيضا دراسته لكي يعتمدوا عليه في سياساتهم [1]،ويشكل هذا الكتاب جوهر المشروع السياسي لجون رولز حيث يحتوي على معالم نظريته التي يبحث في ترسيخها في المجتمعات الليبرالية لكي يخرجها من الحالة التي تعيشها .
- **كتاب الليبرالية السياسية سنة1993** :وقد كان الهدف من هذا الكتاب تبيين الطريقة والمنهج الذي يتم من خلاله دمج وجمع مكونات الليبرالية المتنوعة والمتعارضة وجلب سياسة ليبرالية جديدة تكون الأساس ويرضى الجميع بها بل يشاركون فيها وتكون تتصف بصفتي الاستقرار والثبات[2].
- **كتاب قانون الشعوب سنة 1999**:في هذا الكتاب عمم جون رولز نظريته في العدالة لكي تشمل العلاقات في المجال العالمي أي العلاقات بين الشعوب و يبني هنا جون رولز مجتمع الشعوب الذي يبحثه جون رولز لكي يجمع الشعوب تحت قانون واحد[3].

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص 22.

[2] نفسه :ص 28 .

[3] مجموعة مؤلفين :الفلسفة الغربية المعاصرة ،ص1212.

- **كتاب محاضرات في فلسفة الأخلاق سنة 2000.**
- **كتاب العدالة كإنصاف سنة 2001.**[1]

هذه بعض أهم أعمال جون رولز ،التي أثارت جدلا كبيرا في العالم نظرا للأهمية التي تحملها وكذلك للمواضيع الحساسة التي تطرق لها جون رولز ،والتي جلبت اهتمام الباحثين والمفكرين في كل بقاع العالم .

ثالثا :مرجعيته الفكرية

وكما قلنا سابقا إن قيمة أعمال جون رولز تبين الجهود الكبيرة التي بذلها ،كما توضح القوة الفكرية والنزعة الإصلاحية ،وكذلك تبين الجانب الأخلاقي الذي يبحث من خلاله جون رولز تأسيس نظرية فلسفية تضمن الاستقرار والتكامل والفعالية داخل المجتمع الأمريكي والمجتمع الدولي لكن لا يعني هذا أن جون رولز أبدع كل هذا انطلاقا من نفسه وفكره فهناك عدة مرجعيات ومنطلقات استلهم منها جون رولز وكانت له بمثابة الحجر الأساس و الأرض الصلبة لفكره .

إن دراسة المرجعية الفكرية لجون رولز تجعلنا نرى وبوضوح أن المصدر العام يحدده جون رولز في التراث الديمقراطي الغربي حصرا ويقصد بذلك التقاليد والثقافة السياسية والأخلاقية الموجودة في دول أوربا والولايات المتحدة الأمريكية حيث توجد الأنظمة الديمقراطية والدول المنفعلة بها[2].

لقد استلهم جون رولز جمهورية أفلاطون بما استشكلته من جامعة لفلسفة الأخلاق والسياسة ثم من تحديد للغاية من الوجود الإنساني ،وهي هنا فكرة العدالة ،والأمر هكذا فإن الرولزية تعتني كالأفلاطونية بالأخلاق النظرية وتربط الأخلاق بالسياسة وتذهب إلى غائية السعادة بوصفها مشروع الحياة الاجتماعية هنا تبدو الجمهورية معتبرة وقائمة خلف التصور النظري للفلسفة الأخلاقية عند جون رولز[3].

[1] مجموعة مؤلفين :الفلسفة الغربية المعاصرة ،ص1212.

[2] جون رولز: العدالة كإنصاف إعادة صياغة ،ترجمة حيدر حاج إسماعيل ،منشورات المنظمة العربية للوحدة،بيروت،2009 ،ص16.

[3] مجموعة مؤلفين :الفلسفة الأخلاقية ،من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء،منشورات الإختلاف،الجزائر ،2013،ص532-533.

كما لا يمكن تصور ديناميكية القرارات الأخلاقية التي أنتجتها الجماعة الرولزية إلا في ظل الاتفاق ،الذي يمكن منه ميثاق العقد الاجتماعي الذي تخلص اليه هذه الجماعة،ومن هنا يحضر أقطاب الفلسفة السياسية في العصر الحديث وهم أصحاب العقد الاجتماعي [1].

هذا ونجد أن جون رولز يشهد بأن للعقد الاجتماعي فضل كبير في فكره ،فهو يعد مرجعه الأساس ويعد نقطة الانطلاق بالنسبة له حيث نجده يصرح بهذا في كم من موضع في كتبه وأعماله فنجده يقول في كتابه نظرية العدالة :<<**ما حاولت القيام به هو تعميم ورفع مستوى التجريد لنظرية العقد الاجتماعي كما عرفها لوك وروسو وكانت ،أتأمل بهذه الطريقة أنه يمكن تطوير النظرية حيث لا تبقى مفتوحة على الاحتجاجات التي أصبحت قدرا لها** >>[2]

ومن هنا يظهر وبوضوح أن جون رولز انطلق من قاعدة فلاسفة العقد الاجتماعي وهذا ما يظهر في أعماله التي نجد فيها تماثلا لبعض أفكار جون رولز وأفكار العقد الاجتماعي ومن بين هذه المفاهيم نجد على سبيل المثال مفهوم الوضع الأصلي الذي يقابل في دولة الطبيعة لدى جون لوك في العقد الاجتماعي يقول جون رولز في هذا : << **في العدالة إنصافا يقابل الوضع الأصلي للمساواة دولة الطبيعة في العقد الاجتماعي**>>[3].

كما أنه يصعب ويستحيل على أي فيلسوف أو مفكر ليبرالي الابتعاد عن أفكار العقد الاجتماعي وعدم الانطلاق منها ،كون أن العقد الاجتماعي هو الذي رسخ كل المرتكزات الأساسية لليبرالية والتي تعد الحرية هي النقطة الجوهرية فيها وكذلك نجد حق الحياة والملكية وهذا ما نجده في قول جون لوك : << إن الأفراد كانوا يتمتعون بثلاث حقوق طبيعية هي حق الحياة وحق الحرية وحق الملكية >>[4].

[1] مجموعة مؤلفين :الفلسفة الأخلاقية ،من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء ،ص533.

[2] جون رولز :نظرية في العدالة،ترجمة ليلى الطويل،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق،2011 ،ص80.

[3] نفسه:ص39.

[4] نقلا عن جون رولز :العدالة كإنصاف ،ص40.

وهذا ما نجده أيضا عند روسو حيث يرى بأن جميع الناس ولدوا أحرارا ومن هنا نقول أن فكرة الفرد الحر متجذرة في الثقافة الفلسفية السياسية والأخلاقية والغربية ونجد أن جون رولز تناولها كما هي دون تبديل أو تعديل وهذا ما سيظهر جليا من خلال مبدئه الأول في العدالة كإنصاف الذي ينص على الحريات الأساسية[1] .

كما نجد أيضا أن أفكار الفيلسوف الألماني إمانويل كانط كان لها الحضور والتأثير على الفكر الرولزي ،حيث استلهم جون رولز العديد من الافكار من كانط وجسدها في مشروعه وهذا ما نجده واضحا في نظرية العدالة وكذلك نجده بشكل صريح في قول جون رولز : <<**النظرية التي أقدمها هي ذات طابع كانطي ،ولا أدعي في هذا المجال أنني أقدم أفكارا جديدة لم تطرح من قبل إن الأفكار الكلاسيكية هامة جدا ومعروفة ،أما عملي فهو تنظيمها في نظام عام وتبسيطها لتصل للجميع** >>[2] ،وهنا يبين جون رولز أهمية الفلسفة الكانطية الأخلاقية وتأثره بها ،وهذا ما نجده بوضوح في فلسفته فلو نتمعن فيها سوف نجد تواجدا كبيرا للأحكام الكانطية الأخلاقية فمثلا لو نذهب إلى فكرة نقد المنفعة فنجد جون رولز يرى بضرورة أن تكون معاملة الناس كغاية لا كوسيلة وهذا ما نجده عند كانط في قول صريح : <<افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك باعتبارها دائما وفي الوقت نفسه غاية في ذاتها ،ولا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة >>[3].

كما نجد أن جون رولز استلهم العقلانية الكانطية في بناء العديد من المفاهيم ومن بينها مفهوم حجاب الجهل ،الذي هو تصور يستلهم العقلانية الكانطية وتصوراته الأخلاقية ،فما يحرك الجماعة التي تقوم بالاتفاق على المبادئ المنصفة هي الشخصية الأخلاقية وفق إطار كانطي مؤسس على وحدة الإدراك العقلي للقيمة الأخلاقية [4] .

[1] جون رولز :العدالة كإنصاف ،ص40.

[2] جون رولز :نظرية العدالة ،ص20.

[3] نقلا عن محمد المصباحي:كانط والفلسفة المعاصرة ،ص49.

[4] إمانويل كانط :تأسس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ،الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة ،1965،ص223.

ومنه يتضح لنا التواجد الكبير للأحكام الأخلاقية الكانطية في فلسفة جون رولز ،والذي سيظهر لنا بشكل أكثر وضوحا من خلال التدرج في جوهر المشروع السياسي لجون رولز.

وعليه ومن خلال ما سبق نصل إلى القول أن الليبرالية فلسفة سياسية واقتصادية ترتكز على أولوية الفرد بوصفه كائنا حرا عاقلا ،فمقولة الحرية هي المقولة المركزية التي يحرص المذهب الليبرالي على إبرازها،وعليه فالليبرالية تعني حرية الاعتقاد ،والتفكير والتعبير ،وحرية الفعل الاقتصادي وحرية التجمع والتمثيل السياسي أي الحرية في جميع مجالات الحيات الفكرية والسياسية والاقتصادية.

كما أن قولنا ليبرالية ،يعني ثلاث مجالات مترابطة مجال سياسي واقتصادي وفكري ترتبط كل هذه المجالات بصفة الحرية التي تعنيها الليبرالية ،هذه الأخيرة التي يناشدها الليبرالي في شتى المجالات ،وهذا ما يجعلها أي الحرية تكون أساس المذهب الليبرالي لكن كما رأينا أن الوضع في المجتمع الليبرالي يعيش نوع من التضارب بين الحرية والمساواة ،فالمجتمع الليبرالي يعيش حالة من اللامساواة ،وهذا ما نادى به العديد من الفلاسفة لعل أبرزهم الفيلسوف الأمريكي جون رولز الذي رأى أن سبب اللامساواة هو الاعتماد على المذهب النفعي الذي يكرس الظلم فما هو الحل الذي يقدمه جون رولز يا ترى؟

الفصل الثاني :نظرية العدالة عند جون رولز

المبحث الأول :نقد المذهب النفعي ومفهوم العدالة

أولا: نقد مذهب المنفعة

ثانيا : مفهوم العدالة

المبحث الثاني :الوضع الأصلي وحجاب الجهالة

أولا:الوضع الأصلي

ثانيا :حجاب الجهالة

المبحث الثالث: في مبادئ العدالة

أولا :المبدأ الأول

ثانيا :المبدأ الثاني

ثالثا :ترتيب المبادئ

المبحث الأول :نقد المذهب النفعي ومفهوم العدالة

أولا :نقد مذهب المنفعة:

ينطلق جون رولز في بناء مشروعه السياسي – نظرية العدالة – من خلال نقده للمرجعية التي تعتمدها الليبرالية في جميع مجالاتها ،وهي المرجعية النفعية، أي المذهب النفعي الذي سيطر على الفكر الأخلاقي والسياسي الليبرالي، وهذا ما يظهر جليا في الولايات الأمريكية، التي تجعل من النظرية النفعية المصدر الأساسي الذي تستمد منها كافة قراراتها السياسية والاقتصادية والأخلاقية حيث تشكل النظرية النفعية مقياس الحقيقة والسعادة للفرد والمجتمع وكذلك مقياس تطور الشعوب.

فنجد أن النظرية النفعية تتبنى فكرة أن مجتمع ما أفضل من مجتمع آخر إذا ما وفر كثيرا من المصلحة والمنفعة للمجتمع بصورة عامة أي أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس فالرفاه العام مقدم على الرفاه الفردي[1]، ومن هنا ترى المجتمعات الليبرالية أن المجتمع الجيد هو المجتمع الذي يوفر لأكبر قدر من سكانه المنفعة التي يرون فيها الطريق إلى تحقيق السعادة ،كما ترى هذه المجتمعات انطلاقا من هذا المذهب أن اللذة والمنفعة هي التي تحدد قيمة الشيء لا غير ذلك.

كل هذه التصورات التي رسخها المذهب النفعي في هذه المجتمعات ،يرى فيها جون رولز أنها سبب ما آلت إليه المجتمعات الليبرالية من تصادمات واختلافات وتشتتات ،وكذلك توسع الفردانية وزوال للتعاون داخل المجتمعات الليبرالية لهذا جاء جون رولز ناقدا للمذهب النفعي وجاء بمشروعه كبديل لهذا المذهب يقول جون رولز: << **أردت التوصل إلى تصور في العدالة يقدم بديلا نظاميا معقولا عن المذهب النفعي الذي ساد بشكل أو بآخر في التقليد الأنجلوساكسوني من التفكير السياسي** >>[2]، وعليه فإن جون رولز جاء بنظريته في العدالة لتكون بديلا للمذهب النفعي الذي يراه جون رولز أنه لا يمثل السبيل إلى الوصول بالأمم إلى تحقيق السعادة.

[1] عادل صابر راضي:الفكر الليبرالي السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا،مجلة الفلسفة،العدد العاشر،2013 ،ص92.

[2] جون رولز :نظرية في العدالة ،ص12.

وعليه إن الهدف الأساسي الذي يستهدفه جون رولز من خلال نظرية العدالة هو تقديم أساس نظري متماسك لمفهوم العدل ،أساس يمكن طرحه كبديل لما يقدمه لنا مذهب المنفعة[1]،وينتقد جون رولز المذهب النفعي لأن الأخذ به يبرر كثيرا حالات الظلم .

إن مذهب المنفعة يمكن أن يغتفر حالات معينة من الظلم لا شك من أنها ظلم صارخ وعلى سبيل المثال يمكن تصور أن رفاهية الأغلبية ستترتب على استعباد الأقلية وتسخيرها من أجل تحقيق هذه الرفاهية ،إننا في هذا المثال إزاء تحقيق أكبر قدر من الرفاهية ليتمتع بها أكبر قدر من الناس نحقق معيار المنفعة لكن العدل يختل[2]،ويختل العدل هنا لأن الأخذ بهذا المعيار يعني التضحية ببعض الأفراد في المجتمع لكي يتمتع الأغلبية ،وهنا تغيب العدالة لأن هذا المعيار يقصي بعض الأفراد في المجتمع من التمتع بحقوقهم وحرياتهم ويمنحها للآخرين ،كما تغيب المساواة ويحضر التفاوت والتفرقة التي تقود حتما إلى التصادم والاختلافات بين أفراد المجتمع لأن الطبقات المحرومة والتي يضحى بها نتساءل عن سبب اختيارها دون الفئات الأخرى وتبدأ بالإحساس بالظلم ما يدفعها إلى القيام بردات فعل لاسترجاع حقوقها وهنا تعم الفوضى ويزول الاستقرار الذي تبحثه الشعوب.

إن جون رولز يرفض تماما أن انتهاك حرية القلة للوصول إلى تحقيق الخير الأكبر والسعادة للأغلبية فهو يرى ان الهدف الأول للنظام الاجتماعي هو تحقيق العدل وهو ما لا تكفله تلك التشريعات القائمة على مذهب المنفعة العامة بما تستهدف من تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر قدر من المجتمع[3]،لأن هذا هو عين الظلم و اللاعدل فلماذا نضحي بالبعض لكي تسعد الأغلبية ولماذا لا نساوي بين الجميع ونزيل هذا المعيار الظالم؟

[1] أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج: أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ،ص133.

[2] نفسه :ص136.

[3] أبو النور حمدي أبو النور حسن:يورغن هابرماس الاخلاق والتواصل،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان،2012،ص 225.

إن مذهب المنفعة حسب جون رولز يحمل في طياته معالم الظلم والتمييز ،فالبحث على تحقيق الرفاهية لأكبر قدر من الناس يكون على حساب بعض الفئات المحرومة هذا ما يتنافى مع العدالة التي فطر الإنسان عليها ،والتي تقضي بأن الإنسان أشبه بأخيه الإنسان كما أنه كائن حر له الحق في الحياة والملكية وله الحق في التمتع بجميع حقوقه بالتساوي مع جميع البشر و لكن مذهب المنفعة هذا غير هذا المضمون حيث أصبح من الجا ز التضحية بالأقلية لكي تتحقق رفاهية الأغلبية وهنا يحدث اللاعدل وانتهاك لحرمات الأشخاص وحقوقهم في سبيل رفاهية الأغلبية ،هذا ما يرفضه جون رولز بقوله : << **كل شخص يمتلك حرمة غير قابلة للانتهاك بالاستناد إلى العدالة بحيث لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها حتى لمصلحة رفاهية المجتمع** >>[1]،ومعنى هذا أن لكل فرد حقوقه التي يتساوى فيها مع جميع الناس والتي تعد خطا أحمرا لا يمكن لأي أحد أن يتعداه أو يتجاوزه تحت أي وصاية لأن الجميع في جو العدالة متساوون يقاسون كشخص واحد ولا يجوز انتهاك حرمة الفر حتى ولو كان هذا يجلب مصلحة ورفاهية المجتمع لأن هذا فيه ظلم وتمييز من خلال تزكية فئة على حساب الأخرى .

ويرى جون رولز أن مذهب المنفعة لا يقدم ما يكفي من الضمان للحرية ،وذلك من خلال تركيزهم على مبدأ السعادة القصوى ،والذي يعني تحقيق أكبر قدر من السعادة للأغلبية والذي يبررون به فقدان الأقلية لحرياتهم وهذا ما يبين عدم كفاية مبدأ السعادة حسب جون رولز[2]،ومن هنا يجب تغيير وجهة النظر هذه والبحث عن معيار آخر يبحث المساواة والعدالة بين الجميع.

[1] جون رولز :نظرية في العدالة ،ص30.

[2] ديفيد جونستون:مختصر تاريخ العدالة ،ترجمة :مصطفى ناصر ،منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت،2012،ص 236.

يرى جون رولز أن العمل بمعيار المذهب النفعي القائل بتحقيق السعادة لأكبر قدر من الناس يجعل من الإنسان مجرد وسيلة لتحقيق المصالح والمنافع ،وهذا مالا يتماشى مع حرية الإنسان وكرامته فجون رولز يرى بأن المبدأ القاضي بالتعامل مع كل شخص في المجتمع من حيث هو غاية وليس مجرد وسيلة ،وهنا يشترك رولز مع كانط في هذا الاعتقاد والذي نجده واضحا في قول كانط: << المخلوقات العاقلة غاية في حد ذاتها >>[1].

كما أن البحث عن تحقيق السعادة القصوى قد يسوق المجتمعات إلى انتهاك حقوق الإنسان والدوس عليها وتجاهلها وتغطيت هذه الانتهاكات بمعيار المنفعة الذي يبيح هذا وهذا ما شهده الأفارقة والسود في الولايات المتحدة الأمريكية من انتهاكات وقتل لحرياته واستعبادهم من طرف البيض وجعلهم بمثابة آلات يبحثون من خلالها تحقيق سعادتهم على حساب هؤلاء السود ،هذا ما أراد جون رولز كبحه وعمل على تجاوزه من خلال نقد مذهب المنفعة والبحث عن بديل له من خلال نظرية العدالة فقد كان طوال حياته المهنية يبحث عن إيقاف هذا الظلم وهذا ما يؤكده ديفيد جونستون في كتابه مختصر تاريخ العدالة بقوله:<< إن جون رولز كان طوال حياته المهنية وتجربته الناضجة واعيا بالظلم العميق الذي مارسه الأمريكيون ضد الأفارقة وأحفادهم عبر أجيال متعاقبة>>[2]،وكان هذا من خلال إلزام الأفارقة بالقوة على العمل تحت إمرتهم وجعلهم هؤلاء البشر مثل الآلة التي لا تتوقف عن العمل فقد كان الأفارقة يعملون بجد في حين الأمريكيون هم الذين كانوا يستفيدون في حين فئة الأفارقة تبقى محرومة لا تأخذ أية فائدة وكل هذا كان تحت تبرير معيار المنفعة الذي يرى أن هذه هي العدالة الاجتماعية وهذا ما يعارضه جون رولز الذي يرى أن هذا المعيار يقتل حرية الإنسان ويزيلها وبهذا لا يستطيع أن يكون معيارا للعدالة الاجتماعية.

[1] أحمد المصباحي :فلسفة الحق كانط والفلسفة المعاصرة ، ص49.

[2] ديفيد جونستون:مختصر تاريخ العدالة،ص236.

ويرى جون رولز أن فكرة العدالة التي لا توفر ما يكفي من الضمان للحرية لا بد أن يكون مصيرها التصدع والزوال[1]،وهذا ما يبحث عنه جون رولز للمذهب النفعي من خلال مشروعه السياسي كما نفهم ان المذهب النفعي نظر إلى أن السعادة هي الخير الوحيد الذي ينشده الإنسان وأنها هي السبيل إلى الرفاهية ،وجعل هذا المذهب جل غايات البشر ترتكز حول غاية واحدة وهي السعادة التي أصبحت عندهم تحتل الصدارة في مجال العدالة ،لكن جون رولز يرى عكس هذا من خلال أن السعادة ما هي إلا غاية من بين الغايات التي يسعى إليها الإنسان كما يرى رولز بأن حرية البشر وليس سعادتهم هي التي ينبغي أن تحتل الصدارة من أفكارنا في العدالة[2].

ومن المعلوم أن أهداف وغايات البشر متنوعة فكل يبحث عن تحقيق الغايات التي ينشدها والتي يراها خيرا له وهذا التنوع هو ما نجده غائبا في المذهب النفعي الذي جعل أهداف وغايات البشر تتلخص في غاية واحدة وهي السعادة.

ومن خلال هذا نخلص إلى فكرة جوهرية في نقد جون رولز للمذهب النفعي في كون أن هذا المذهب يهتم فقط بمقدار المصلحة والخير والمنفعة ولا يهتم بالكيفية التي ستوزع بها هذه المصالح والمنافع والخيرات على أفراد المجتمع،وعليه إن ما يهم في المذهب النفعي هو حجم قطعة الكعك حتى وإن لم يحصل البعض سوى على جزء صغير منها[3]،ويقصد هنا بقطعة الكعك المصالح والمنافع التي يبحثها المذهب النفعي والتي يراعي فيها دائما الكبر والقوة والشدة في حين يهمل الطريقة التي توزع بها هذه المنافع على الناس بالعدل فهذا الإهمال يؤدي إلى اللاعدل والظلم في توزيع الخيرات ويجعل البعض يستفيد على حساب البعض الآخر.

[1] ديفيد جونستون:مختصر تاريخ العدالة،ص237.

[2] نفسه:ص137.

[3] جان فرنسوا دورتي :فلسفات عصرنا ،ص206.

ومن خلال ما سبق نصل إلى أن جون رولز نقد المذهب النفعي في مجموعة من النقاط الحساسة التي تمس بالفرد والمجتمع فالبحث عن تحقيق المنافع يجعل البشر يتصادمون لأن ما يبحث عنه فرد قد يبحث عنه فرد آخر وهنا يحدث خلاف بين الأفراد فالمجتمعات وخصوصا إذا غيبت الطريقة التي ستوزع بها المنافع وهذا ما نجده في المذهب النفعي وهذا ما سيحدث حالة الظلم والتمييز والتضحية بالبعض من أجل الآخر هذا ما سيخلق طبقات تعيش الرفاهية وطبقات أخرى تعيش الأوضاع المزرية وتتخبط في الضياع.

وهذا ما سيؤدي بدوره إلى تشتت المجتمع وانتشار الأنانية فيصبح كل يبحث في تحقيق سعادته دون مراعاة سعادة الآخرين وبالتالي يظهر التصادم والاختلاف ويغيب التعاون والتضامن وتزول الوحدة داخل المجتمع ويتحول المجتمع إلى حالة من عدم الاستقرار النفسي للأفراد بفعل الرغبة في المنفعة التي تتحول غلى هاجس أمام البشر كما تنتشر حالات اللاعدل وتغيب المساواة وتداس كرامة الإنسان الذي يتحول إلى وسيلة للبحث عن المنفعة بأي وسيلة كانت وهنا تغيب المبادئ الأخلاقية وينقل البحث عن المنفعة حالة التصادم إلى المجتمع الدولي فبحث بعض الدول عن المنفعة يجعلها تتجه نحو الدول الأخرى لاستنزاف ثرواتها وخيراتها ويجعل هذا البحث الدول تدخل في صراعات وصدامات من أجل الوصول إلى توسيع مواطن النفوذ والمنفعة وعليه فإن جون رولز يعيب على المذهب النفعي هذا ويرى أنه من الأحسن أن يتم استبدال هذا المذهب لأنه وبكل بساطة لا يحمل العدالة بين الناس بل يحمل الظلم و اللاعدل لأنه لا يراعي الطريقة التي تعطي كل ذي حق حقه ويهتم بالمنفعة دون توزيعها وهذا ما يتنافى مع معيار العدل.

ثانيا – مفهوم العدالة حسب جون رولز:

تعد نظرية العدالة عند جون رولز أهم محاولة فلسفية بعد النظريات التعاقدية في القرن السابع عشر والثامن عشر ،لبناء قاعدة نظرية صلبة للممارسة الليبرالية ويبدأ جون رولز في هذا من خلال إقرار أن العدالة هي << **الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية كما هي الحقيقة للأنظمة الفكرية ،ومهما كانت النظرية أنيقة ومقتصدة لا بد من رفضها إذا كانت غير صادقة ،كذلك الأمر بالنسبة إلى القوانين والمؤسسات مهما كانت كفوءة وجيدة التشكيل لا بد من إصلاحها وإبطالها إن كانت غير عادلة** >> [1] ،ومن هنا يجعل جون رولز العدالة هي الأساس الأول لكل المؤسسات الاجتماعية والشرط الجوهري الذي لا يمكن تجاوزه والذي من خلالها يتقبل المؤسسات أو ترفض وتستبدل بمؤسسات أخرى عادلة فالعدالة هي أساس هيكل المؤسسات الاجتماعية لذا ينبغي أن تسير جميع الإجراءات التشريعية والسياسية والاقتصادية والفكرية وفق مبادئ العدالة .

وعليه فقد صمم جون رولز نظريته في العدالة لكي تطبق على المؤسسات الاجتماعية أي على البنية الأساسية والتي تعد المادة الأولية للعدالة كما تعد من بين الأفكار الأساسية في نظرية العدالة يقول جون رولز في هذا :<< **إن المادة الأولية للعدالة هي البنية الأساسية للمجتمع أو بدقة أكبر الطريقة التي توزع من خلالها المؤسسات الاجتماعية الرئيسية الحقوق والواجبات الأساسية وتحدد تقسيم المنافع الناتجة عن الشراكة الاجتماعية** >> [2] ،ويقصد هنا جون رولز بالمؤسسات الرئيسية الدستور السياسي والترتيبات الاقتصادية والاجتماعية التي من خلالها تحمى الحريات الأساسية للأفراد كحرية التفكير والملكية والرأي كما تحدد هذه المؤسسات الحقوق والواجبات للأفراد وتأثر في إمكانية نجاح حياتهم وتحدد تقسيم المنافع بين الأفراد المنافع التي تنتج من خلال مشاريعهم المشتركة.

[1] جون رولز :نظرية في العدالة،ص29-30.

[2] نفسه:ص34.

ويضيف جون رولز فكرة أساسية أخرى وهي فكرة المجتمع باعتباره نظاما منصفا من التعاون الاجتماعي ،ويعد جون رولز هذه الفكرة أنها فكرة مركزية لتطوير مفهوم سياسي لعدالة نظام ديمقراطي،ويسوغ جون رولز هذه الفكرة بالترابط مع فكرتين أساسيتين وهما:

- فكرة المواطنين (أي أولائك المنخرطون في التعاون) باعتبارهم أشخاصا أحرار ومتساوين .
- فكرة مجتمع حسن التنظيم أي مجتمع منظم تنظيما فعالا بواسطة مفهوم عام للعدالة[1] .

ومن هنا نصل إلى القول بأن المجتمع يبنى من طرف الأفراد الأحرار المتساوين أي الأفراد الذين يمتلكون قدرات وكفاءات أخلاقية حيث يرى جون رولز بضرورة أن يتميز كل أعضاء المجتمع بهذه الكفاءات والقدرات الأخلاقية هذه الأخيرة التي يحددها جون رولز في كفائتين وهما:

- القدرة على الحس بالعدالة :وهي القدرة على الفهم والتطبيق والعمل إنطلاقا من مبادئ العدالة السياسية التي تعين الشروط المنصفة للتعاون الاجتماعي.
- القدرة على تحصيل مفهوم الخير :أي القدرة على حيازة مفهوم الخير ومراجعته ومتابعته العقلانية وهذا المفهوم هو مجموعة منظمة من الغايات النهائية والمقاصد التي تعين مفهوم الشخص لما هو قيم في الحياة الإنسانية[2].

ومن خلال تحلي الأفراد بهذه الكفاءات الأخلاقية يصبحون جاهزون للانخراط في تعاون اجتماعي نافع للجميع حيث يتبادل الأفراد من خلال التعاون المنافع كما تجعلهم هذه الكفاءات الأخلاقية يسعون لاحترام شرط التعاون وشروط العدالة،وعليه نصل إلى المبدأ الذي يبحث جون رولز من خلاله تحقيق العدالة كإنصاف وتحقيق الرفاهية للجميع وهو مبدأ التعاون أي أنه يبحث على وضع مبدأ التعاون في مقابل الروح الفردية ،لأن التعاون يوحد الصفوف ويقضي على الفردانية والتشرذم والأنانية.

[1] جون رولز :العدالة كإنصاف،ص92.

[2] نفسه:ص112.

كما يرى جون رولز أن الأفراد يعتبرون متساوين فقط إذا كانوا يتمتعون بالقوى الأخلاقية الضرورية للانخراط في تعاون اجتماعي والمشاركة في المجتمع كمواطنين متساوين يقول جون رولز في هذا:<< **يعتيرون متساوين بمعنى أنهم يتمتعون،إلى الحد الأدنى الجوهري بالقوى الأخلاقية الضرورية للانخراط في تعاون اجتماعي لمدى حياة كاملة وللمشاركة في المجتمع كأشخاص متساوين>>** [1] .

ومن هنا نخلص حسب جون رولز أن أساس الوصول إلى المساواة بين الأفراد في المجتمع هو تمتع بالقوى والكفاءات الأخلاقية أي الحس بالعدالة والقدرة على تحصيل مفهوم الخير ومن هنا تصبح لدى الأفراد القدرة على تكوين مفهوم الخير ومطالبة مؤسساتهم بالأخذ بمفاهيمهم عن الخير .

أما فيما يخص الفكرة الثانية المرافقة لفكرة الأشخاص الأحرار المتساوين وهي فكرة المجتمع جيد التنظيم والذي يعرفه جون رولز بكونه المجتمع الذي تم تصوره لضمان خير أفراده،كما أنه يتميز بكونه محكوما يتصور عمومي للعدالة ،ففي هذا المجتمع يحترم كل فرد مبادئ العدالة نفسها التي يعرف أن كل فرد آخر يحترمها بالقدر نفسه ،كم أن المؤسسات الاجتماعية القائمة تحترم هذه المبادئ وتجسدها[2].

ويبحث جون رولز من خلال هذه الفكرة الوصول إلى ثلاثة أهداف وهي:

- الوصول إلى بناء مجتمع يقبل فيه كل فرد المفهوم السياسي للعدالة وبذلك يقبل مبادئ العدالة السياسية ذاتها وهو الأمر الذي تتضمنه فكرة المفهوم العام للعدالة .
- دفع البنية الأساسية للمجتمع أي المؤسسات الاجتماعية والسياسية الرئيسة إلى تحقيق مبادئ العدالة في المجتمع[3].

[1] جون رولز:العدالة كإنصاف،ص114.

[2] السيد ولد أباه: الدين والسياسة والأخلاق:مباحث فلسفية في السياقين الإسلامي والغربي،دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، بيروت، 2014،ص250.

[3] جون رولز :العدالة كإنصاف ،ص97.

- أن يتوفر لدى الأفراد حسا فعالا بالعدالة يمكنهم من أن يفهموا ويطبقوا مبادئ العدالة المفهومة من العموم[1].

إذن ومنه نصل حسب جون رولز إلى الإقرار بأن المفهوم العام للعدالة في مجتمع جيد التنظيم يوفر وجهة نظر معترف بها ومشتركة يستطيع المواطنون بواسطتها أن يقاضوا مؤسساتهم السياسية والاجتماعية أو بعضهم البعض في كل ما يتعلق بمطالب حقهم السياسي[2]،ومن خلال هذا المفهوم تصبح لدى المواطنين القدرة على مطالبة كل مؤسساتهم الاجتماعية بكافة حقوقه وحرياتهم الأساسية وتطبيق العدالة والمساواة وبالتالي يسعى مفهوم العدالة عند جون رولز للوصول إلى توفير أساس فلسفي وأخلاقي مقبول للمؤسسات الاجتماعية وبالتالي محاولة التوفيق بين الحرية والمساواة فكيف السبيل إلى هذا يا جون رولز؟

[1] جون رولز :العدالة كإنصاف،ص97.

[2] نفسه:ص97.

المبحث الثاني :الوضع الأصلي وحجاب الجهالة:

أولا :الوضع الأصلي

بعد انتقاد جون رولز للمذهب النفعي وبيان مآخذ هذا المذهب والتي تقف أمام تحقيق العدالة الاجتماعية التي تضمن تمتع الجميع بكل حرياتهم وحقوقهم في بشكل منصف بين الجميع يأتي جون رولز إلى بناء نظريته التي يبحث من خلالها البديل الذي يضمن ما لم تستطع النفعية ضمانه للأفراد والمجتمعات وهذه النظرية التي يؤسسها على مجموعة من الأفكار الأساسية والتي من بينها فكرة الوضع الأصلي وفكرة حجاب الجهالة واللتان من خلالهما تتم عملية التفاوض للوصول إلى مبادئ العدالة .

تعد فكرة الوضع الأصلي من الأفكار الجوهرية في نظرية العدالة ويعرف جون رولز الوضع الأصلي بأنه : << **الوضع الاجتماعي المبدئي المناسب الذي يضمن أن تكون الاتفاقات الأساسية التي يتم التوصل إليها فيه منصفة** >>[1]،ويعني جون رولز بالوضع الأصلي تلك الحالة الافتراضية التي يقوم بها الأفراد العقلانيون والأحرار بالاتفاق على التوزيع العادل للحقوق والمواد والفرص المشتركة بينهم بشكل معقول وبإنصاف ولا يعني هنا الإنصاف أن العدالة تساوي الإنصاف كما يبدو في الظاهر ،بل معناه أن الحالة والشروط الموجودة تكون بشكل يفرض أن يكون الاتفاق في العدالة والتوزيع بشكل معقول وبالتالي منصفا[2]،وعليه إن فكرة الوضع الأصلي فكرة افتراضية مخترعة من طرف جون رولز الذي يرى على ضرورة فهمه على أنه افتراضي يهدف الوصول من خلاله إلى تحقيق تصور عن العدالة يقول جون رولز في هذا : << **يجب فهمه على أنه وضع افتراضي صرف له هذه المواصفات حتى يقودنا إلى تصور معين عن العدالة** >>[3].

[1] جون رولز: نظرية في العدالة ،ص46.

[2] تحسين حمه غريب: فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة ،ص36.

[3] جون رولز :نظرية في العدالة،ص39.

تقابل هذه الفكرة دولة الطبيعة في نظرية العقد الاجتماعي حيث نجد أن مفهوم الوضع الأصلي يتقاطع مع حالة الطبيعة في النظرية التقليدية للعقد الاجتماعي. ويؤكد جون رولز تقابل فكرة الوضع الأصلي مع دولة الطبيعة في نظرية العقد الاجتماعي حين قال : << **في العدالة إنصافا يقابل الوضع الأصلي للمساواة دولة الطبيعة في نظريات العقد الاجتماعي التقليدي** >>[1].

وقد جاء جون رولز بهذه الفكرة لكي يصل الناس إلى اتفاق حول شروط ومبادئ للعدالة هذه الأخيرة التي تقودهم إلى المساواة والإنصاف.

ويفترض جون رولز في الوضع الأصلي تجمع أشخاص أحرار يجتمعون لاختيار القواعد والمبادئ التي ينبغي تقود المجتمع ،ولا سيما توزيع الخيرات الأساسية (الحقوق ،الحريات،الثروات....) وإعادة هيكلة المكاسب والتكاليف التي تنجم عن التعاون الاجتماعي[2] ، وفي هذا يقول جون رولز : << **علينا أن نتصور أن أولائك المشتركين في شراكة اجتماعية يختارون معا في فعل مشترك واحد المبادئ التي سوف تخصص الحقوق والواجبات الأساسية وتحدد التقسيم للمنافع الاجتماعية** >>[3].

ومن هنا نقر بأن الوضع الأصلي هو الحالة المفترضة التي يقوم فيها الأفراد العقليون والأحرار الذين يهتمون بتحقيق مصالحهم بالاتفاق على المبادئ التي تضمن لهم التوزيع العادل والمنصف للحقوق والثروات المشتركة بينهم ،وعليه فإن الهدف الأساسي من الوضع الأصلي هو الوصول إلى اتفاق حول المبادئ التي تضمن العدالة كإنصاف في المجتمع .

[1] جون رولز :نظرية في العدالة ،ص39.

[2] عادل صابر راضي:الفكر الليبرالي السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا، ص98.

[3] جون رولز :نظرية في العدالة ،ص39.

وعليه فالمنزلة التي يحتلها الوضع الأصلي هي نفسها التي تحتلها حالة الطبيعة لدى فلاسفة العقد الاجتماعي ،غير أن رولز يشدد على أن الوضع الأصلي يعوض حالة الطبيعة فحالة الطبيعة مثلا عند "توماس هوبز" هي حالة حرب الجميع ضد الجميع وحالة الخوف من الموت ،فما هو في المحك هنا هو الأمن الفردي الذي يسعى إليه كل فرد وليس العدالة ،ويصدق الأمر نفسه على"روسو وكانط" فلو نظرنا إلى حالة الطبيعة في عمليهما فإننا نلاحظ على الرغم من عدم وجود العنف أنها حالة تتميز بغياب القوانين ،وحالة يستحيل في ظلها التحكيم بين مطالب متعارضة ومعنى هذا أن الوضع في حالة الطبيعة وضع غير منصف[1].

ويرى جون رولز أنه يجب على الأشخاص المتفاوضين في الوضع الأصلي أن يتحلوا بمجموعة من الشروط والضوابط ،وهذه الشروط هي :

- الشرط الأول أنه يجب ان يكون المتفاوضين أشخاصا عقلانيين وهذا ما نجده في قول جون رولز << **لقد افترضت دائما أن الأشخاص في الوضع الأصلي عقلانيون** >>[2]،ويقصد جون رولز بالعقلانيين أي لديهم بعض الخطط العقلانية في الحياة بعض المشاريع المستقبلية التي يبحثون على تحقيقها حتى وإن جهلت تفاصيلها إلا أن من شأنها أن تضمن للأفراد خطة للسعي وراء تحقيق فكرة الخير في الواقع.
- يجب أن تضع هذه الشروط بصورة خاصة الأشخاص الأحرار والمتساوين في وضع منصف فلا يسمح لبعضهم التمتع بامتيازات مساومة أفضل من الآخرين[3]،وهنا يؤكد جون رولز على التساوي المطلق بين المتفاوضين فلا يجوز التفضيل والتمييز بينهم.

[1] جمال مفرج:الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات ،منشورات الاختلاف،الجزائر،2009،ص114-115.
[2] جون رولز:نظرية في العدالة ،ص188.
[3] جون رولز :العدالة كإنصاف ،ص106.

- يجب أن يكون الأشخاص المتفاوضين في الوضع الأصلي في حالة انعدام للمصلحة فهم يمتلكون الرغبة في التضحية بمصالحهم من أجل الآخرين[1]،ومن هنا يبحث جون رولز على أن يبتعد الأشخاص المتفاوضون في عملية التفاوض عنت طلب مصالحهم الخاصة وأن يبحثوا تحقيق المصالح لجميع المجتمع بالتساوي أي التفكير في مصلحة الجميع وهنا لا يضحي جون رولز بمصلح هؤلاء الأشخاص في سبيل تحقيق مصالح المجتمع وإنما يبحث جون رولز أن يتفاوض كل شخص باسم المجتمع الذي يمثله فمصلحته من مصلحتهم لأنه لا يدرك مكانته في المجتمع وإنما غرضه هو جلب مصلحة الجميع والتفكير بها دون مصلحته الشخصية التي تعتبر جزءا من المصالح الاجتماعية للمجتمع.
- يجب أن يقر الأشخاص مسبقا كيف يجب عليهم تنظيم مطالبهم مقابل بعضهم البعض وما هو الدستور أو التشريع المؤسس لمجتمعهم لذا يجب أن تقرر مجموعة من الأشخاص مرة واحدة ومن أجل الجميع ما الذي يعد عادلا وما الذي يعد غير عادل[2].
- يجب أن يكون الأشخاص المتفاوضين في الوضع الأصلي قادرون على الإحساس بالعدالة وهذه الحقيقة معرفة عامة بينهم وهذا شرط لضمان سلامة الاتفاقية التي تبنى في الاتفاقية[3] ولا يعني هنا جون رولز تصور معين عن العدالة يكون لدى الجميع وإنما يرى جون رولز أن يتعاون الأشخاص مع بعضهم البعض لسن مبادئ العدالة التي يتفق عليها الجميع .

[1] عادل صابر راضي:الفكر الليبرالي السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا، ص99.
[2] جون رولز: نظرية في العدالة ،ص39.
[3] نفسه:ص191.

- لابد لكل شريك أن تكون له المعرفة الكافية بالنفسية العامة للبشر كما يجب أن تتوفر في الأطراف المتفاوضين المعلومات الكافية حول مختلف مبادئ العدالة المطروحة وعليه لابد أن يكون الأطراف المشاركون في التفاوض متساوين في المعلومات التي يمتلكونها[1].هذه هي مجمل الشروط التي يضعها جون رولز أمام المتفاوضين في الوضع الأصلي لكي يصل بالمتفاوضين إلى الابتعاد عن كل سبب سيعيقهم عن اختيار المبادئ التي ستتيح العدالة التي يتفقون عليها.

ومن هنا نفهم أن جون رولز يبحث من خلال هذه الشرط ربط علاقات التعاون والتساوي بين المتفاوضين والابتعاد بهم عن فكرة السيطرة والهيمنة كما تبعد هذه الشروط أن تتجه مبادئ العدالة نحو المذهب النفعي الذي يحمل الظلم والتمييز و اللاعدل حيث يحاول جون رولز من خلال هذه الشروط تغيير وجهة النظر التي رسخها مذهب المنفعة والذي شتت الناس وجعلهم يسيرون في شكل أحادي التفكير حيث أصبح هم كل إنسان هو تحقيق مصلحته دون النظر لمصلحة الآخرين حتى وإن تصادمت المصالح فهو يختار مصلحته الشخصية وبالتالي تولدت الأنانية وضاعت روح التعاون والتضامن اللتان تعدان شرطان أساسيان لتماسك المجتمعات لهذا يضع جون رولز هذه الشروط لكي يخرج المتفاوضون بمبادئ عدالة تشفي جراح مبادئ مذهب المنفعة.

وإلى هنا يبدو المشهد مألوفا إنه صورة أخرى لنفس المشهد الذي عرضته من قبل نظريات العقد الاجتماعي فهؤلاء الأشخاص المتفاوضين في نظرية جون رولز كان يمكن أن يكونوا هم أنفسهم ومن جوانب عديدة أولائك البشر الذين يعيشون حالة الطبيعة بما تنطوي عليه من حرب وفوضى واضطراب هذا ما دفعهم للتعاقد لإنشاء مجتمع سياسي[2] خال من الحروب والفوضى يضمن لهم التمتع بحقوقهم في جو آمن ومستقر حيث يظهر لنا تشابه كثير بين الحالتين فما هو الجديد الذي جاء به جون رولز؟

[1] جمال مفرج :الفلسفة المعاصرة،ص116.

[2] أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة:ص140.

ثانيا :حجاب الجهالة

إن جون رولز يطرح بعدا جديد يتمثل فيما أطلق علي حجاب الجهالة هذا الأخير الذي يضعه جون رولز من بين الشروط الأساسية في عملية التفاوض للوصول إلى مبادئ العدالة ،حيث نجد كل شخص من الأشخاص المتفاوضين وإن تمتع بالمعرفة العامة الواسعة المتعمقة في سائر المجالات إلا أنه يجهل كل شيء عن نفسه[1]،فخلف حجاب الجهالة كما يرى جون رولز<< **لا يعرف الأطراف المتفاوضون أنواع معينة من حقائق معينة في المقام الأول لا أحد يعرف مكانه في المجتمع،طبقته الاجتماعية أو وضعه الاجتماعي ،ولا يعرف نصيبه من التوزيع المتعلق بالإمكانات والموجودات الطبيعية ،ذكائه وقوته أكثر من هذا أفترض ان الأطراف لا يعرفون ظروف مجتمعهم الذاتي الخاصة** >>[2]، ويقصد جون رولز من هذا أن المتفاوضين خلف حجاب الجهالة يصبحون يجهلون بعض المعلومات عن أنفسهم فلا يعرفون أسمائهم ولا أعمارهم ولا الزمن الذي يعيشون فيه ولا يعرفون مكانتهم في المجتمع ولا يعرفون حتى الطبقة التي ينتمون إليها كما لا يعرفون ما إن كانوا أغنياء أو فقراء ينتمون إلى الطبقات المحرومة أو إلى الطبقات التي تعيش الرفاه ولا يعرفون النصيب الذي سينالونه من الخيرات ولا يعرفون قدر المنافع التي سيأخذونها والتي ستعود إليهم كما لا يعرفون درجة ذكائهم ولا يعرفون القوة التي يتمتعون بها ولا يعرفون الظروف الخاصةالتي يتميز بها المجتمع الذين يعيشون فيه ويقصد رولز بالظروف الخاصة الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومن خلال هذا الحجاب يتساوى الأشخاص المتفاوضين ويتخلصون من كل المشاغل التي تبعدهم عن وضع القوانين والمبادئ التي تبحث وتؤدي إلى العدالة الاجتماعية التي تتيح للجميع نفس الحق كما يبعدهم هذا الحجاب عن النظرة الأنانية والمصلحة الذاتية والخاصة.

[1] أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ،ص140.

[2] جون رولز:نظرية في العدالة،ص181-182.

إن الهدف الذي توخاه جون رولز من إضافته لهذا الجديد المتمثل في حجاب الجهالة هو ضمان الحيدة التامة للمتفاوضين في عملية التفاوض والحيلولة دون أن يحاول احد المتفاوضين أن يتحيز إلى أوضاعه الشخصية بحيث يفصل على مقاسه مبادئ يطرحها على الآخرين فمادام كل متفاوض لا يعرف شيئا عن أوضاعه الخاصة فإنه لن يستطيع أن يطرح مبادئ متحيزة إلى أوضاع يستفيد منها البعض على حساب الآخرين خشية أن لا يكون هو من بين المستفيدين عندما يماط حجاب الجهالة وتتبين له أن هذه الأوضاع لا تنطبق عليه[1]،ومن هنا يدفع حجاب الجهالة المتفاوضين إلى طرح مبادئ للعدالة تكون تخدم الجميع أي تخدم المجتمع ككل دون التمييز بين أفراده حيث أنه كون أن المتفاوضين لا يعرفون مكانتهم الاجتماعية وبالتالي لا يعرفون مقدار المنافع التي سيأخذونها فإنهم سيطرحون مبادئ تساوي بين الجميع كما يختارون مبادئ تنصف كل الطبقات الاجتماعية مبادئ لا تضحي بأي فئة في سبيل الفئة الأخرى لأنه وببساطة يحيط بجميع الأطراف حجاب من الجهالة يعدم معرفتهم لأحوالهم الاجتماعية.

هذا ما نجده واضحا في قول جون رولز: << **مبادئ العدالة يتم اختيارها خلف حجاب الجهالة وهذا يضمن عدم انتفاع أو تضرر أي فرد في اختياره للمبادئ من خلال حصيلة الفرص الطبيعية أو فرضية الشروط الاجتماعية بما ان الجميع يحتلون موقعا متشابها ولا أحد يستطيع تصميم مبادئ لمحاباة ظرفه الخاص،تكون مبادئ العدالة نتيجة اتفاقية وصفة منصفة**>>[2].

ومن خلال هذا نفهم أن جون رولز يرمي من وراء حجاب الجهالة الوصول إلى المبادئ التي تضمن الإنصاف في العدالة.

[1] أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ،ص140-141.

[2] جون رولز :نظرية في العدالة ،ص40.

وفي عملية التفاوض في الوضع الأصلي يضع بين أيدي المتفاوضين جميع المبادئ عن العدالة التي عرفها تاريخ الفلسفة لكي يتم مناقشتها ولكي يتم الوصول إلى المبادئ التي يتفق عليها الجميع يقول جون رولز في هذا: << **فكل ما فعلناه هو أننا وببساطة ناولنا الأطراف قائمة بالمبادئ أو مجرد لائحة وشملت اللائحة أهم مفاهيم العدالة السياسية الموجودة في تقاليد فلسفتنا السياسية مع خيارات أخرى عديدة نريد فحصها وواجب الأطراف أن توافق على خيار واحد مما هو موجود في اللائحة** >>[1]،وهنا يعطي جون رولز للمتفاوضين الحرية في استعراض جميع مبادئ العدالة التي عرفها تاريخ الفلسفة السياسية وأن يدرسوا جميع مبادئ العدالة الموجودة لكي يختاروا منها أو يضعوا مبادئ جديدة للعدالة حيث يتوافق اختيارهم مع المطالب والضوابط التي تتحكم في الوضع الذي يتفاوضون فيه،فبوسعهم النظر في وجهة نظر فلاسفة العصر اليوناني القديم أو فلاسفة العصر الحديث أو المعاصر.

ومع هذا فإنهم سيرفضون كل هذه الوجهات من النظر،ويؤكد جون رولز بأن أيا منهم لن يقبل أية مبادئ تحابي الأقوياء أو المتفوقين لأنه لن يكون في مصلحته إذا ما أميط عنه حجاب الجهالة واكتشف أنه من الضعفاء أو المتخلفين،إن كل واحد سوف يرفضها على سبيل القطع واليقين طالما أنه يسعى إلى تحقيق مصلحته المستقبلية حتى إن كان في اللحظة الراهنة يجهل طبيعة ظروفه الشخصية،ويرى جون رولز أنهم ممكن أن يطرحوا مذهب المنفعة على بساط البحث لكن سرعان ما سيرفضونه بحجة أن هذا المذهب يسمح بقهر البعض في سبيل رفاهية الأغلبية[2]،ومن هنا يستحيل أن يعرض المتفاوضون أنفسهم للقهر أو التمييز وكون المتفاوض شخص عقلاني فسوف يرفض كل هذه المبادئ لأنها لا توفر له مصلحته التي لا يعلم بمصير تحققها نظرا لحجاب الجهالة الذي يقيد التفاوض.

[1] جون رولز :العدالة كإنصاف،ص211.

[2] أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة،ص142.

ومن هنا يرفض المتفاوضون جميع هذه المبادئ التي وضعت أمامهم لمناقشتها لأنها لم تلبي ما كانوا يبحثون عنه من أمور جوهرية في الحياة كالمساواة بين الجميع والتمتع بالحريات الاساسية والتقسيم العادل للخيرات والمنافع .

هذا ما يدفع المتفاوضين إلى البحث عن << **مفهوم سياسي للعدالة يمكنه أن يعين أساسا أخلاقيا ملائما للمؤسسات الديمقراطية ويصمد إزاء البدائل الموجودة** >>[1]،أي يبحث المتفاوضون عن مبادئ جديدة للعدالة تحقق لهم ما يبحثون عنه كما تحمل في طياتها هذه المبادئ العلاج والدواء للأمراض والحل للظروف التي خلفتها المبادئ المعروفة من قبل.

وعلى هذا فإن المبدأ الوحيد الذي سيقبله المتفاوضين هو مبدأ المساواة التامة في توزيع السلع والخدمات والمزايا بمختلف أنواعها ،ومع هذا أيضا فإنهم بحكم عقلاني سوف يفطنون إلى أن هنالك أنواعا مختلفة من التمييز في مجال التوزيع يمكن أن يستفيد منها الجميع وبوجه خاص ذوي الامتيازات الأدنى[2].

ومن هنا فإن المتفاوضين سيقبلون بهذين المبدأين لانهم لا يعرفون مكانتهم الاجتماعية ولا يعرفون حجم المنافع التي سيأخذونها وعليه إن مبدأ المساواة يضمن للجميع التمتع بالخيرات والمصالح والحريات الأساسية بشكل متساوي بين الجميع ،ويقبلون أيضا بالمبدأ الثاني والذي يحمل في طياته نوعا من التمييز والتفاوت حيث تميز فئة المحتاجين أي الأقل دخلا بأخذ الزيادة من المنافع لأن المتفاوضين يجهلون مكانتهم فهم سيقبلون هذا المبدأ لأنهم ينظرون إلى المستقبل الذي سيزال فيه حجاب الجهالة ويخافون عندها أن يكتشفوا أنهم من الطبقات الأقل دخلا لهذا يضعون هذا المبدأ لسواهم ولكن يأملون ان يستفيدوا منه إذا تبين أنهم من الطبقات الأقل دخلا بعد إزالة حجاب الجهالة.

[1] جون رولز :العدالة كإنصاف،ص112.

[2] أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة،ص142-143.

المبحث الثالث:في مبادئ العدالة

ينطلق جون راولز في اقتراحه وتأسيسه لمبدأي العدالة من السؤال التالي : <<**ما هي مبادئ العدالة الأكثر ملائمة لتعيين الحقوق الاساسية والحريات ولتنظيم ظواهر اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية في نظرات المواطنين العامة على مدى حياة كاملة ؟**>>[1] ،وهذا التساؤل يكشف لنا أن الهم الأساسي الذي شغل بال جون رولز هو وضع مبادئ للعدالة تكون أكثر اتساقا وملائمة لضمان الحقوق الأساسية والحريات (المتمثلة في حرية الرأي والتعبير والضمير) وكذلك لضمان التوزيع العادل للمنافع والثروات الاجتماعية حتى تزول مظاهر اللامساواة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الليبرالي.

كما يبحث جون رولز أن تكون هذه المبادئ صالحة على مدى الحياة أي يبحث على مبادئ تصمد على مرور الزمن مع كل البدائل التي عرفها تاريخ الفلسفة في مجال العدالة السياسية وبعد إخضاع الأطراف المشاركة في عملية التفاوض في الوضع الأصلي لمجموعة من الشروط والضوابط التي وضعها جون رولز وكذلك بعد أن يصبحوا في شراكة اجتماعية وبعد دراستهم لمختلف مبادئ التي عرفتها البشرية ورفضهم لما كونها لا تحقق المساواة ولا تضمن الحقوق والتوزيع العادل للمنافع فسوف << **يختارون معا في فعل مشترك واحد ومجمع عليه المبادئ التي سوف تخصص الحقوق والواجبات الأساسية وتحدد التقسيم للمنافع الاجتماعية** >>[2] .

ومن خلال هذا وكما قلنا في الوضع الأصلي سيختار المتفاوضون المبادئ التي تخدمهم وتخدم غير هم في آن واحد حيث يراعون في هذا الاختيار مصلحتهم ومصلحة غيرهم فهم يختارون مبدأ المساواة ومبدأ التفاوت وهذا ما سنجده واضحا في تقسيم المبادئ عند جون رولز.

[1] جون رولز :العدالة كإنصاف ،ص 147 .

[2] جون رولز : نظرية في العدالة،ص 39.

أولا :مبدأ حفظ الحريات الأساسية

يقول فيه جون رولز: << **لكل شخص الحق ذاته والذي لايمكن إلغاؤه في ترسيمة من الحريات الاساسية المتساوية الكافية وهذه الترسيمة متسقة مع نظام الحريات للجميع ذاته** >>[1] ، يرمي هذا المبدأ الى ضمان حريات وحقوق متساوية للجميع ، وعليه يضمن هذا المبدأ الحريات الأساسية لذا يمكن تسميته مبدأ حفظ الحريات الأساسية.

ويقصد جون رولز هنا بالحريات الأساسية : الحريات السياسية كالحق في التصويت واعتلاء منصب مسؤولية عمومية وحرية التعبير والاجتماع وحرية التفكير والوعي واحترام السلامة الجسدية والبسيكولوجية للشخص والحق في الملكية الشخصية والحماية من التوقيف والحبس التعسفيين[2] ،حيث يضمن الجميع من خلال هذا المبدأ كافة حرياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بطريقة متساوية دون التفريق بينهم حتى وإن اختلفت مستوياتهم ووضعياتهم الاجتماعية فالكل أحرار ومتساوون فلا يحق ولا يجوز تمتع فئة دون الأخرى أو فئة على حساب أخرى كما كان عليه الحال في المذهب النفعي وهذا ما يتجاوزه هذا المبدأ يقول جون رولز: << **يتطلب المبدأ الأول أن أنواعا معينة من القواعد التي تعرف بالحريات الأساسية أن تطبق على كل شخص بالتساوي وأن وتسمح بالحرية الواسعة القصوى المتوافقة مع حرية مماثلة للجميع** >>[3] .

ومن خلال هذا المبدأ يقوم جون رولز بتقييد الحريات الأساسية بقواعد تحد هذه الأخيرة من تصادم الحريات مع بعضها البعض وتحد من التفاوت في التمتع بالحريات الأساسية الذي يجعل فئة حرة تعيش الرفاهية وفئة مستعبدة تعيش الظروف المزرية.

[1] جون رولز : العدالة كإنصاف ، ص148 .

[2] جان فرنسوا دورتي:فلسفات عصرنا ، ص 209.

[3] جون رولز : نظرية في العدالة ، ص 97.

كما تحد هذه القواعد من الظلم و اللاعدل الذي يجعل فئة تتمتع على حساب فئة أخرى فقد تميل كفة فئة على كفة الفئة الأخرى وهذا ما لا يتفق مع العدل فتقييد الحريات وحدها عند فئة هو سبيل إلى رفعها وزيادتها عند فئة أخرى بشكل متساوي يضمن للكل حرياته الأساسية ، وفي هذا يقول جون رولز : << **السبب الوحيد لتقييد الحريات الأساسية وجعلها أقل اتساعا هو إذا لم يكن الأمر كذلك فسوف تعيق إحداها الأخرى** >>[1]،نفهم من خلال هذا أن اتساع الحرية عند فئة يعني بالضرورة إعاقة وسد حريات فئة أخرى ولهذا يقيد جون رولز الحريات الأساسية بشرط المساواة الذي يعطي للجمع الحق نفسه في التمتع بالحريات الأساسية دون تفضيل لأي فئة أو أي كان على حساب الآخرين فمبدأ المساواة في الحريات الأساسية يجعل جميع الأفراد يعاملون معاملة واحدة وبطريقة واحدة هذا ما يجعل مؤسسات المجتمع تعامل كل أفراد المجتمع بالمساواة وهذا ما يرسخ فكرة العقد التي ترى بأن ما من شيء أشبه بالآخر مثل الإنسان بأخيه الإنسان وعلى هذا فإن معاملة جميع الأفراد معاملة واحدة في مجال الحريات الأساسية يتيح للجميع التمتع بحقوقهم بشكل متساوي يبعد هذا التساوي الأفراد عن الخلافات والصدامات ويجعلهم يشتركون في مشاريع تعاونية كما يعطي هذا المبدأ للجميع نفس الفرص.

وعليه فالمبدأ الأول يوجب المساواة في تحديد الحقوق والواجبات الأساسية فلكل شخص كما يرى جون رولز حق مساو للجملة الأوسع من الحقوق الأساسية المتساوية للجميع[2]،ومن هنا يضع جون رولز الحد لكل الانتهاكات للحريات الأساسية والحقوق داخل المجتمع ويضع حدا للتمييز الذي عرفته المجتمعات التي كانت تعتمد مبدأ التضحية بالبعض في سبيل رفاهية الأغلبية.

[1] جون رولز : نظرية العدالة ، ص 97 .

[2] جاكلين روس:الفكر الأخلاقي المعاصر ،ص39.

ومن خلال ماسبق نجد أن المبدأ الأول يشتمل على هذه الحريات ،وعلى قسم من التكوين الأساسي للمجتمعات ومؤسساته الموجودة كالدستور و الحكومة والمؤسسات النظامية والقضائية لها المسؤولية لحفظ تلك الحريات الأساسية المتساوية ،وفي نظر جون رولز إن الفهم المشترك والعام للأفراد في الوضع الأصلي لمبادئ العدالة وخاصة المبدأ الأول هو أساس تكوين نظام ديمقراطي مبني على الدستور ،إن هذا المبدأ يحمي الحريات الأساسية[1].

إن جون رولز يضع من خلال هذا المبادئ جميع أفراد المجتمع متساوين في الحريات الأساسية ويجعل مسؤولية ضمان تمتع كل فرد بهذه الحريات بالتساوي مع غيره تخص الحكومة والمؤسسات القضائية للمجمع التي تصهر على ضمان وحماية هذه الحريات من أي اعتداء أو انتهاك كما أن التعاقد على مبدأ المساواة والعمل به هو السبيل إلى بناء مجتمعات تتبع نظم ديمقراطية مبنية على الدستور.

ثانيا: مبدأ التفاوت أو مبدأ اللامساواة

إذا كان الفكر الأخلاقي النظري والسياسي المعاصر لجون رولز يستند مبدأ الحرية وإذا كان هذا الفكر يؤكد أنه ينبغي أن يكون لكل شخص حق مساو في أكبر الحريات الأساسية (حرية الرأي والملكية ...إلخ) فإنه يرجع كذلك إلى مبدأ آخر هو مبدأ الاختلاف القائل بوجوب قبول أنواع التفاوت الاجتماعية والاقتصادية ،شريطة أن تكون منظمة لصالح الأقلين حظا ،وأنها تكفل لهؤلاء وضعا مرضيا وأن صنوف التفاوت لصالح كل إنسان[2].

[1] تحسين حمه غريب: فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة،ص46.

[2] جاكلين روس :الفكر الأخلاقي المعاصر،ص 43 .

ويظهر هذا لنا من خلال قول جون رولز: << **يجب أن تحقق تحقق ظواهر اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية شرطين: أولهما يفيد أن اللامساواة يجب أن تتعلق بالوظائف والمراكز التي نكون مفتوحة للجميع في شروط مساواة منصفة بالفرص،وثانيهما يقتضي أن تكون ظواهر اللامساواة محققة أكبر مصلحة لأعضاء المجتمع الذين هم أقل مركزا** >>[1].

ويعمل جون رولز من خلال هذا المبدأ على تسوية التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية بحيث تكون أعظمها نفعا للفئة الأقل استفادا من المنافع والثروات حيث يوجه هنا جون رولز حالات التفاوت لخدمة الفئات المحرومة التي تشهد حالات مزرية وقلة في الدخل والخيرات وهذا لا يعني أن التمتع بالخيرات و الاستفادة منها يخص فقط فئة المحرومين والأقل حظا بل يخص الجميع مع نوع من التفاوت الذي يقر أن تكون أكبر مصلحة للفئات الأقل دخلا وحظا لكي تتحسن الظروف الاجتماعية و المعيشية لها ،كما يرى جون رولز من خلال هذا المذهب أن المناصب متاحة للجميع وأن الجميع يحصل على فرص متكافئة للمنافسة على شتى المناصب أي المساواة المنصفة في الفرص.

وعليه فالمبدأ الثاني يطبق على توزيع الدخل والثروة ،كما يهدف إلى تأسيس العدالة الاجتماعية لكنه يراعي حقيقة أنه في مجتمع ذي مساواة مطلقة تتعرض الإنتاجية لخطر الانخفاض كثيرا إلى حد يتضرر الجميع حتى الأكثر حرمانا ،ويؤكد جون رولز إذن أن التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية عادلة فقط وفقط إذا كانت منتجة لمزايا تعويضية للأفراد الأكثر حرمانا (مبدأ الاختلاف) ،ويعتقد جون رولز إذن أنه لا يوجد تفاوت أي لاعدالة في حقيقة أن عددا قليلا يتحصل امتيازات أعلى من المتوسط في وقت تتحسن فيه وضعية بهذا الصنع[2].

[1] جون رولز :العدالة كإنصاف ،ص 148.

[2] جان فرنسوا دورتي:فلسفات عصرنا،ص209.

ومن هنا يرى جون رولز أن مبدأ التفاوت يخدم المجتمع من خلال أن حالة المساواة المطلقة في توزيع الدخل يؤدي شيئا فشيئا إلى انخفاض الإنتاجية وبالتالي يتضرر الجميع من خلال هذه الأزمة كما أن التفاوت حسبه يكون عادلا فقط إذا كان موجها للفئات المحرومة والأقل حظا وهذا بدوره يخدم هذه الفئة لكي تحسن من وضعيتها وظروفها الاجتماعية وتتحول إلى فئات منتجة بفضل المزايا التي يوفرها لها التفاوت وبالتالي تخرج من دائرة الفئات المحرومة التي تتكل على غيرها لتصبح فئات جيدة ومن هنا يتحول المجتمع بالتدريج إلى مجتمع قوي منظم متعاون ظروف الاجتماعية جيدة وبالتالي تغيب فئة المحرومين من الوجود شيئا فشيئا.

إضافة إلى هذا ينبغي أن يستفيد كل شخص من الفرص نفسها في الوصول إلى مختلف الوظائف والوضعيات الاجتماعية التي يستفيد منها جاره (مبدأ تساوي الفرص)،لهذا المبدأ الأسبقية على مبدأ الاختلاف ذلك أنه لا ينبغي علينا أن نضيق مجال تساوي الفرص لصالح تحسين الظروف المعيشية لكل فرد[1].

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن جون رولز يبحث من خلال المبدأين السابقين يسعى إلى تجنيب المجتمع من حالتين حالة التضحية بالأقلية في سبيل الرفاهية والسعادة للأغلبية وما تخلف هذه التضحية من ظهور طبقات محرومة هذه الأخيرة التي تتزايد شيئا فشيئا ويحمل هذا التزايد معه مطالبات ورفض كبير لهذه السياسية التعسفية والظالمة والتي يسميها البعض بالوحشية القاهرة وما يخلف هذا من اللاعدل و اللامساواة ،هذا ما يبحث جون رولز عن تجاوزه من خلال المساواة بين الجميع دون أي تفريق أو تمييز ،كما سدي جون رولز مبدأ تكافؤ الفرص الذي يمنح فيه الحق المساوي للجميع في فرص شغل جميع المناصب .

[1] جان فرنسوا دورتي:فلسفات عصرنا،ص209.

كما يعمل جون رولز على تخليص المجتمع من الطبقة المحرومة التي تعيش الظروف المزرية من خلال نوع من التفاوت والذي يعتبره جون رولز هو العدالة بعينها لأنه يرى أن تقديم مزايا أكثر للفئات المحرومة لا يعد تمييز لأن هذا هو الطريق إلى تخليص هؤلاء من الحالات المزرية التي يعيشونها كما يعد هذا السبيل إلى تحسين الظروف المعيشية لهذه الفئات المحرومة والأقل حظا.

ومن خلال هذا يدفع جون رولز بالمجتمع إلى الابتعاد عن الأنانية و الفردانية والتصادم بين الطبقات والأفراد في المجتمع كما يبحث من خلال هذا غرس أفق التعاون والترابط بين الناس وإلى غرس القيم العليا التي تقود الناس إلى تحقيق مطالب الحياة السعيدة.

ثالثا :ترتيب المبادئ

من المسائل المهمة التي تخص المبدأين هي مسألة ترتيب المبدأين ،وفي هذا يرى جون رولز ضرورة أن يتقدم المبدأ الأول عن المبدأ الثاني ويظهر هذا من خلال قوله : << **يجب ترتيب المبادئ في ترتيب تسلسلي حيث يسبق المبدأ الأول الثاني**>>[1]،ومن خلال هذا الترتيب يعطي جون رولز الأولوية للحريات الأساسية والتي يجب أن يتساوى فيها الجميع حيث يرى جون رولز أنه يستحيل قبول أي انتهاك لهذه الحريات والتي لا يمكن تعويضها بأي مبدأ مهما كان حتى مبدأ توزيع الخيرات فهذه الحريات لا يمكن تعويضها وهي الشرط الأول والأساسي ولا يمكن تجاوزها لأن انتهاكها يعني غياب العدالة وفي غيابها لا معنى للمبدأ الآخر كما أن الحريات الأساسية من بين الدعائم التي تتأس عليها ووفقها المجتمعات .

[1] جون رولز:نظرية في العدالة ،ص94.

ففي نظرية العدالة كإنصاف التوفر الواسع للحريات الأساسية بالتساوي ليس فقط أحد مبادئ العدالة بل هو أحكم وأقوى عماد لقيام المجتمع[1]،ومن هنا نفهم أن الحريات الأساسية هي الشرط الأول والضروري لقيام العدالة في أي مجتمع ولهذا إننا نجد أن المتفاوضين في الوضع الأصلي يختارون مبدأ الحريات الأساسية المتساوية كأول مبدأ لأنهم يعرفون أن غياب الحرية في المجتمع يعني ظهور استبداد وحضور تمييز وظهور طبقة قوية تتحكم في كل شيء في حين يبقى الباقون في المجتمع دون أية فائدة غير فاعلين تابعين مطيعين لأوامر الطبقة القوية لا يردون لها أي قرار ولا يشاركون في أي شيء وبالتالي يفقدون جميع حرياتهم ،كما أن المجتمعات لا تأسس إلا بهذا المبدأ كما رأينا مع جون رولز الذي كان شرطه في المتفاوضين أن يكونوا أحرارا .

ويرى جون رولز أن تكوين المجتمع في البداية يجب أن يرتب على أساس تأمين وضمان الحريات الأساسية ،ففي البداية يجب أن تؤسس المؤسسات الاجتماعية التي تخدم وتحرس الحريات الأساسية وبعدها يأتي دور المؤسسات الأخرى التي توزع الخيرات ،وكذلك جوهر تقديم المبدأ الأول على الثاني هي النقطة التي أكدها الليبراليون القدامى وهي قبول الحرية بعنوان أعلى قيمة وفضيلة اجتماعية ولا يمكن بأي عذر لأية قيمة أن تحدد الحريات الفردية فقط حفظ وصيانة الحرية للآخرين هي التي تحدد الحرية الشخصية لفرد ما[2].

وبعبارة أخرى يعني جون رولز أنه لا يمكن تقييد الحريات الأساسية للأفراد تحت أي سبب مادامت لا تلمس حرية الآخرين فلا يجوز إعاقة تمتع أي فرد بحريته فالحريات تقيد حسب جون رولز إلا إذا تصادمت حرية فرد مع حرية الآخرين يقول هنا جون رولز: << **الحريات المتنوعة فقط بكيفية تأثيرها على بعضها البعض تضيق أو تتسع** >>[3].

[1] تحسين حمه غريب: فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة،ص47.

[2] نفسه:ص48.

[3] نقلا عن تحسين حمه غريب: فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة ،ص48.

كما أننا نجد أن جون رولز يقدم الحرية لأن الحرية تجعل للذات قدرا وفاعلية فالفرد الحر تجد له رأيا وفاعلية في المجتمع من خلال حرية التعبير كما تجده يشغل أعلى المناصب ويتصرف بإرادة كبيرة كما تجعله الحرية يخطط ويرسم مخططا لحيلته ويسعى إلى تحقيق كل ما من سبيله أن يحقق له الأمن والرفاهية والرقي والازدهار في الحياة ويبحث دائما على تحسين ظروفه دون أن يمنعه أحد لأنه حر وبالعكس من هذا يوجد مؤسسات اجتماعية تساعده على ضمان حرياته ،ومن هنا يمثل مبدأ الحرية قيدا لا يجب تجاوزه وشرطا ضروريا لبلوغ العدالة لأن توفره يعني ظهور وعمل المبدأ الثاني.

وعليه ومن خلال ماسبق يتضح لنا أن جون رولز من خلال نظرية العدالة يسعى إلى خلق توازنات جديدة بين الحرية والمساواة على قواعد أخلاقية للعدالة كإنصاف.إن مدار نظرية العدالة هو معالجة الانحرافات التي آلت إليها الليبرالية السياسية ، والتشوهات التي نالت من الديمقراطية الليبرالية والمخاطر التي تتربص بالحداثة السياسية في عالمنا المعاصر وكلها بادية للعيان في تجلياتها المختلفة كتعاظم الأنانية وتضخم الفردانية الاستحواذية، تفكك الأواصر الاجتماعية ، انحسار مفهوم المواطنة واستشراء اللامبالاة السياسية وتضخم الحرية على حساب المساواة. كلها انحرافات تجعل نهج الليبرالية السياسية محفوفا بالمخاطر.

كما يتسم هذا المشروع النظري بعودة السؤال الأخلاقي إلى صلب الإشكالية السياسية، بمعنى آخر، إعادة تفكير في الليبرالية السياسية في المجتمعات ما بعد- الحداثية بناء على أسس العدالة للحيلولة دون استشراء النزعة الأداتية – النفعية و الفردانية ويرمي رولز من وراء نظريته السياسية إلى بعث الأمل في الليبرالية السياسية من جديد وإلى إحلال توازنات جديدة بين الحقوق — الحريات والحقوق — الواجبات ، فالعدالة هي البلسم الذي يشفي الحداثة الليبرالية من أدوائها، وينجيها من أمراضها. فهناك نبرة متفائلة لدى راولز في أن تنفخ العدالة بما هي إنصاف روحا جديدة في الليبرالية.

الفصل الثالث: قانون الشعوب وتجسيد العدالة الكونية

المبجث الأول:مفهوم قانون الشعوب ومبادئه

أولا :مفهوم قانون الشعوب

ثانيا :مبادئ قانون الشعوب

المبحث الثاني :أنواع الشعوب ومعايير قبولها في مجتمع الشعوب

أولا :أنواع الشعوب

ثانيا :معايير قبول الشعوب

المبحث الثالث:آليات وقواعد تعامل الشعوب مع بعضها البعض

أولا: آليات وقواعد تعامل الشعوب المقبولة

1 – قاعدة التسامح والقبول

2 – قاعدة المساعدة

ثانيا : آليات وقواعد تعامل الشعوب غير المقبولة

1 – قاعدة الحرب العادلة

2 – قاعدة المساعدة

ثالثا :جون رولز والواقع الغربي

المبحث الأول :مفهوم قانون الشعوب ومبادئه

أولا :مفهوم قانون الشعوب

يعرفه جون رولز في كتابه قانون الشعوب بقوله : << **أعني بقانون الشعوب تصورا سياسيا محددا عن الحق والعدالة يتفق مع مبادئ ومعايير القانون الدولي والممارسات الدولية** >>[1] ،أي أن جون رولز يبحث من خلال هذا سن قوانين ومبادئ سياسية يبحث من خلالها تنظيم العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الشعوب أي تنظيم التعاملات والعلاقات بين الشعوب الليبرالية والشعوب غير الليبرالية .

وعليه فإن قانون الشعوب لا يقتضي أن تكون جميع الشعوب ليبرالية ، بل يكفي أن تحترم الحد الأدنى من الليبراليات القديمة و المقصود هنا هو أن تحترم حرية التعبير و حرية العقيدة الدينية وهذا ما أكده جون رولز الذي يرى أن قانون الشعوب يؤمن بوجهة نظر سمحة حتى وإن لم تكن ليبرالية [2]،أي أن قانون الشعوب لا يختص بشعب عن الآخر فهو مفتوح للجميع وهو يتشكل من الجميع يقول جون رولز: << **هو القانون الذي تقره جنبا إلى جنب شعوب أخرى في ظروف مناسبة باعتبارها أنها شعوب عادلة وسمحة ولا تسترشد في سلوكها فقط بالسعي الحصيف أو العقلاني لتحقيق مصالحها** >>[3] ،وهنا يؤكد جون رولز رأيه بأن قانون الشعوب قانون كوني قانون لجميع الشعوب شرط أن تكون هذه الشعوب شعوب عادلة او شعوب سمحة كما يشترط جون رولز فيها أن لا تسعى فقط لتحقيق مصالحها الخاصة دون الشعوب الأخرى وإنما العمل بمبادئ قانون الشعوب التي تمثل السبيل إلى العدالة بين الشعوب.

---

[1] جون رولز :قانون الشعوب،ترجمة محمد خليل ،منشورات المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،2007 ،ص17.

[2] عادل صابر راضي :الفكر السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا ،ص102.

[3] جون رولز :قانون الشعوب ،ص47.

ويستعمل جون رولز كلمة شعوب بدل كلمة دول لأنه وجد في الشعوب سمات تختلف عن سمات الدول منها :

- أن الشعوب لا تحركها منافعها الخاصة بل تحركها مصالحها الأساسية بشكل معقول من دون المساس بمصالح الشعوب الأخرى ،أي أن الشعوب تمتلك جانبا أخلاقيا بخلاف الدول التي دأبها الوحيد أن تكسب مصالحها حتى وإن كان على حساب الدول الأخرى.
- وأن الشعوب لا تمتلك السيادة حتى في التعامل مع مواطنيها مما يعني أن الدول الكبرى والمنظمات الدولية تمتلك كامل الحرية في التدخل في شؤونها.[1]

فجون رولز يرى في << **أن الدول هي الطرف الفاعل في العديد من نظريات السياسات الدولية حول أسباب الحرب والحفاظ على السلام وكثيرا ما ينظر إلى الدول على أنها عقلانية شديدة الحرص على قوتها وتعمل على تحقيق مصالحها الأساسية** >>[2].

وعليه فإن السمة الغالبة على السياسة في الساحة الدولية هي نضال الدول من أجل اكتساب القوة والمكانة السياسية حيث أصبح الصراع من أجل القوة العسكرية والاقتصادية والفكرية لبسط السلطة والهيمنة على القرارات وعلى الوضع الدولي في ظل حالة من الفوضى داخل الشعوب ويقصد جون رولز جون رولز هنا أن الدول لا يهمها سوى إكفاء مصالحها الخاصة دون المراعاة إلى الجوانب الأخرى – مصالح الدول والشعوب الأخرى كذلك الأمور الأخلاقية التي تقيد الطرق والوسائل التي تستخدمها الدول لجلب مصالحها – ودون البحث عن حلول أخلاقية وسياسية لما يعانيه المجتمع الدولي من فوضى وعدوان وانتهاك كبير لحقوق الإنسان،لهذا لم تكن كلمة دول مناسبة للاستعمال في قانون الشعوب.

[1] عادل صابر راضي :الفكر السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا ،ص103.

[2] جون رولز :قانون الشعوب،ص47.

ويسعى جون رولز في هذا القانون أن يوسع فكرته عن العدالة في المجتمع المحلي لتشمل مجتمع الشعوب* مستخدما المنهج نفسه الذي استخدمه في نظرية العدالة[1]،لكي يصل إلى وضع << **مبادئ العدالة التي تحكم العلاقات بين الشعوب ويوسع نطاق فكرة العقد الاجتماعي مع مفهومي الوضع الأصلي وستار الجهالة للتوصل إلى مبادئ عامة يمكن بل ويجب أن تقبل من المجتمعات الليبرالية والمجتمعات السمحة على أنها المعيار لتنظيم العلاقات فيما بينها**>>[2].

ومن هنا نفهم أن جون رولز سار على نفس المنهج الذي استخدمه في إنشاء مبادئ العدالة لإنشاء مبادئ قانون الشعوب هذه الأخيرة التي ستحدد المعايير والآليات التي ستحكم وتنظم العلاقات بين الشعوب.

إن اختيار مبادئ العدالة في قانون الشعوب يكون باختيار مبادئ عدالة قانون الشعوب بالاتفاق عليه من قبل ممثلي كل من الشعوب السمحة والشعوب الليبرالية ،ولكن الوضع الأصلي في قانون الشعوب يكون على ثلاثة مراحل :

- يكون الوضع الأصلي الأول داخل المجتمعات من قبل أفراد ذلك المجتمع الذين يختارون ممثليهم – أي أن كل شعب هنا يختار ممثليه الذين سيمثلونه أمام ممثلي الشعوب الأخرى–
- الوضع الأصلي الثاني يتعلق بالاتفاق على قانون الشعوب من قبل ممثلي الشعوب الليبرالية
- الوضع الأصلي الثالث يتفق فيه ممثلو الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة — المعقولة – على قانون الشعوب ،كذلك يصاحب حجاب الجهالة الوضع الأصلي في كل مراحله والذي يؤدي إلى منع الممثلين من معرفة أحوال شعوبهم الخاصة ومن ثم تتحقق الحرية المتساوية لجميع الشعوب[3].

*يقصد جون رولز بمجتمع الشعوب كل الشعوب التي تلتزم بأهداف ومبادئ قانون الشعوب في علاقاتها المتبادلة.

[1] عادل صابر راضي :الفكر السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا،ص103.

[2] جون رولز :قانون الشعوب ،ص11.

[3] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص168.

ومن هنا يظهر لنا التشابه الكبير في منهج اختيار مبادئ العدالة سواء في المجتمع المحلي أو مجتمع الشعوب وهذا ما يصرح به جون رولز في قوله : << **إن النهج الذي يتبع قبل اختيار مبادئ الحق والعدل والاتفاق على تلك المبادئ هو إلى حد ما نفس النهج سواء في حالة مجتمع محلي أو في حالة المجتمع الدولي** >>[1].

ويرى جون رولز أن قانون الشعوب هو قانون واقعي لأنه قابل للتطبيق هذا من جانب ومن جانب آخر يمكن وصفه يوطوبيا لأنه يستخدم مثلا عليا ومبادئ ومفاهيم سياسية وأخلاقية[2] و عليه فإن جون رولز يرى أنه يمكن الوصول إلى تحقيق قانون الشعوب وتطبيقه على أرض الواقع والوصول إلى بناء مجتمع الشعوب مجتمع يضم نظام اجتماعي عام يضمن للشعوب حقوقها وكذلك يضمن المساواة بين الشعوب يقول جون رولز : << **إن فكرة مجتمع الشعوب فكرة يوطوبية واقعية تصور نظاما اجتماعيا قابلا للتحقيق يكفل الحقوق والعدالة السياسية لجميع الشعوب الليبرالية والسمحة الأعضاء في مجتمع الشعوب** >>[3].

وعليه إن قانون الشعوب ،هو تصور موسع عن نظرية العدالة ينقلنا فيه جون رولز من المجتمع المحلي إلى مجتمع الشعوب ،المجتمع الذي تشكله المجتمعات التي تسير وفق مبادئ قانون الشعوب التي تشكل نظاما اجتماعيا يضمن المساواة بين الشعوب ،ويضمن العدالة السياسية ،إذن فقانون الشعوب هو تصور سياسي جاء به جون رولز للوصول إلى العدالة الكونية أي العدالة بين الشعوب وللوصول إلى هذا يرى جون رولز في ضرورة أن تتبع الشعوب مبادئه وأن تتعامل فيما بينها وفق آلياته فما هي مبادئ قانون الشعوب وما هي أنواع الشعوب حسب رولز وما هي الآليات التي تحدد العلاقات والتعاملات بين الشعوب؟

[1] جون رولز :قانون الشعوب ،ص17.

[2] عادل صابر راضي :الفكر السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا،ص103.

[3] جون رولز :قانون الشعوب ،ص20.

ثانيا :مبادئ قانون الشعوب:

يرى جون رولز بأن مبادئ قانون الشعوب << **ستفتح المجال لأشكال متعددة من الروابط التعاونية والاتحادات بين الشعوب** >>[1]، فهو من خلال هذه المبادئ يبحث على غرس مبدأ التعاون بين الشعوب للخروج من فكرة الصراع ومن فكرة الأنانية التي كرستها الرأسمالية –الليبرالية– وكذلك لمحو الصدامات والخلافات التي تشهدها اليوم الساحة الدولية بين الدول حول كل مستلزمات الحياة.

لكن جون رولز يرى أن هذه المبادئ لن تصل بالشعوب إلى انشاء دولة عالمية وهنا يسر جون رولز على خطى كانط في كتابه المشهور مشروع السلام الدائم هذا الأخير الذي يعتقد أن قيام حكومة للعالم سيكون إما استبدادا عالميا أو فيما عدا ذلك ستنشأ إمبراطورية هشة تمزقها الصراعات الأهلية المتوالية ،حيث تسعى النظم المتعددة والشعوب لاستعادة حريتها ونيل استقلالها السياسي[2].

ومن هنا يبتعد أيضا جون رولز عن فكرة الدولة فهو لا يبحث من خلال مشروعه هذا إنشاء دولة عالمية لأنه يرى فيها أنها ستحمل في داخلها مظاهر الاستعباد والهيمنة من طرف الدول القوية على الدول الضعيفة أو أنها ستكون دواة عالمية هشة لا تحمل سوى الصراعات والحروب الأهلية والفوضى والتشتت وتبتعد كل البعد عما ينشده قانون الشعوب الذي يبحث في إرساء مبادئ التعاون الذي يقود إلى الوحدة والتشارك بين الشعوب في حمل بعضها البعض إلى التعايش في سلام ووفاق .

[1] جون رولز :قانون الشعوب ،ص54.

[2] نفسه :ص 54.

وفي المقابل من هذا يرى جون رولز في إمكانية أن تنشأ أنواع عديدة من التنظيمات تخضع لحكم قانون الشعوب ويعهد إليها تنظيم التعاون بين الشعوب كما تقوم هذه التنظيمات بواجبات محددة متفق عليها،ويرى جون رولز أن بعض هذه المنظمات ويقصد منها الأمم المتحدة لكن في التصور المثالي عنها –أثناء عودتها للمبادئ الجوهرية التي قامت عليها وكذلك عند قيامها بأهدافها التي جاءت من أجلها أي عند قيامها بواجبها ودورها المنزه عن كل ارتباطات سياسية بدولة ما– قد تكون لها السلطة نيابة عن مجتمع الشعوب الجيدة التنظيم عن إدانتها للمؤسسات غير العادلة[1].

وعليه فإن جون رولز يرى في أن قانون الشعوب سينتج عنه ظهور منظمات تسير وفق منظوره حيث تعمل هذه المنظمات على نشر العدالة ومحاربة كل مظاهر اللاعدل ومظاهر انتهاك حقوق الإنسان والشعوب وتعمل على بناء جو مجتمع الشعوب جو عادل ينال فيه كل شعب حقوقه في تساوي تام وفي جو تقيده وتسيره مبادئ قانون الشعوب والتي هي ثمانية وجاءت كالتالي :

- إن الشعوب حرة ومستقلة ويجب أن تحترم حريتها واستقلالها.
- يجب على الشعوب مراقبة العهود الدولية وأن يلتزموا باتفاقياتهم.
- إن الشعوب متساوون وأنهم أطراف في الاتفاقيات التي تربطهم.
- يجب أن تكون الشعوب ملتزمة بمبدأ عدم التدخل.
- إن الشعوب لها حق الدفاع عن النفس،ولكن ليس لها حق التحريض على الحرب في غير الدفاع عن النفس.
- إن الشعوب هي صاحبة حقوق الإنسان أي أنه على الشعوب إحترام حقوق الإنسان[2].

[1] جون رولز :قانون الشعوب ،ص54-55.

[2] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص155.

- إن على الشعوب أن تراعي بعض الحدود أثناء الحرب.
- يجب على الشعوب مساعدة الشعوب المغلوب على أمرها والتي تعيش في ظروف تحرمها من أن يكون لها نظام سياسي واجتماعي عادل أو معقول.[1]

وفيما يخص توضيح وشرح هذه المبادئ نجد أن جون رولز يعترف أن هذه المبادئ تتطلب الكثير من الشرح والتفسير وأن بعض هذه المبادئ لا حاجة له في مجتمع شعوب جيدة التنظيم ويعطينا جون رولز مثالا عن هذه المبادئ فمثلا المبدأ السابع الخاص بالسلوك في الحرب والمبدأ السادس حول حقوق الإنسان [2]،وهنا يقصد جون رولز أن الشعوب جيدة التنظيم تشهد حالة من الأمن والاستقرار لهذا فهي ليست في حاجة للمبدأ السابع ،كما أنها تحترم حقوق الإنسان بفعل ماتمليه دساتيرها لهذا فهي ليست في حاجة للمبدأ السادس كذلك.

أما فيما يخص المبدأ الرابع فنجد جون رولز يرى أنه يحتاج إلى ضوابط وقيود وفي الحالة العامة للدول الخارجة عن القانون ،كما يرى أن هذا المبدأ للمجتمعات غير المنظمة التي تستوطن فيها الحروب وتعم فيها الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

وبصفة عامة يمكن القول في أن مبادئ قانون الشعوب تضمن المساواة للشعوب وكذلك تضمن حريتها واستقلالها كما أنها تعامل معاملة واحدة من طرف قانون الشعوب فإن أي شعب ليس له الحق في الاحتجاج على إدانة مجتمع الشعوب له<< **إذا كانت مؤسساته لا تحترم حقوق الإنسان أو تقيد حقوق الأقليات** >>[3].

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص155.

[2] جون رولز :قانون الشعوب،ص55-56.

[3] نفسه:ص56.

كما أن الأساس في هذه المبادئ هو غرس روح التعاون بين الشعوب لذا تضمن مبادئ قانون الشعوب مساعدة الشعوب المغلوب على أمرها والتي تعيش ظروف مزرية ومعانات وعليه فإن هذه المبادئ تنشد بالدرجة الأولى تحقيق العدالة والمساواة بين الشعوب وبالتالي فهي تمثل القيود للوصول إلى العدالة بين الشعوب والتالي العدالة الكونية.

ولهذا نقول أن جون رولز ذكر هذه المبادئ الثمانية الأساسية لكي يحقق قانون الشعوب وظيفته وهي تحقيق المساواة والتعاون بين الشعوب[1] ،أي إنشاء مجتمع شعوب تسوده العدالة والأمن والاستقرار ويتمتع جميع أفراده بجميع حقوقهم كما يتسم هذا المجتمع بالاحترام التام لكامل حقوق الإنسان.

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص155.

المبحث الثاني :أنواع الشعوب ومعايير قبولها في مجتمع الشعوب

أولا :أنواع الشعوب

يقسم جون رولز الشعوب في قانون الشعوب إلى خمسة أنواع وهي:

- المجتمعات الليبرالية الديمقراطية الدستورية العادلة التي اتفق فيها الأفراد الأحرار المتساوون على مبادئ العدالة في الوضع الأصلي وتحت حجاب الغفلة وأنها ليست على شكل واحد بل يوجد أنواع لها ولهذا يجب على ممثلي هذه الشعوب الاتفاق في الوضع الأصلي مرة ثانية على قانون الشعوب[1].
- المجتمعات السمحة أو المجتمعات الهرمية التشاورية السمحة[2]،وهي المجتمعات الدستورية غير الليبرالية التي تعتمد على مفاهيم تراثية خاصة بها حول العدالة كما أنها تحافظ على المشورة بجميع الجماعات الموجودة داخل المجتمع،وإن كانت تعتمد على مذهب ديني أو فلسفي شمولي ولكنها تراعي حقوق الإنسان إزاء جميع مواطنيها ،كما أنها تتيح المشاركة السياسية للجميع حيث تشاور جميع ممثلي الشعب حتى أنها تترك المعارضة تبدي رأيها ،كما أن هذه الشعوب غير عدوانية وليست لها أهداف توسعية على حساب غيرها من الشعوب هذه الشعوب يمكن الاتفاق معها حول قانون الشعوب[3].
- المجتمعات الخارجة عن القانون[4]، وهي شعوب عدوانية لا تحترم قانون الشعوب لها أهداف توسعية لا تهتم سوى بمصالحها الخاصة .

- الشعوب والمجتمعات المغلوب عل أمرها ،مجتمعات مثقلة بأحوال غير مواتية[5]،وهي شعوب منكوبة غير عدوانية تراعي حقوق الإنسان .

---

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص156.

[2] جون رولز :قانون الشعوب،ص18.

[3] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص156.

[4] جون رولز :قانون الشعوب ،ص18.

[5] نفسه:ص18.

- مجتمعات وشعوب السلطة المطلقة الخيرة أو المستبد العادل ويرى جون رولز في أن هذه المجتمعات تحترم حقوق الإنسان إلا أنها لا تعتبر مجتمعات جيدة التنظيم لأن أعضاء هذا المجتمع محرومون من القيام بدور حقيقي في اتخاذ القرارات السياسية[1].

ومن هنا يمكننا تحديد قسمين للشعوب والذي يدرجه جون رولز في نظريتين يندرج تحت كل نظرية انواع من الشعوب والنظريتين حسب جون رولز هما:

- النظرية المثالية : يناقش فيها جون رولز إمكانية توسيع فكرة التعاقد الاجتماعية العامة لتشمل مجتمع الشعوب الديمقراطية الليبرالية والشعوب السمحة[2]،ومن هنا يظهر لنا أن القسم الأول يضم الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة وهي الشعوب المقبولة لأن تصبح جزءا من مجتمع الشعوب .
- النظرية اللامثالية :ويندرج تحتها نوعين من الشعوب وهما الشعوب الخارجة عن القانون أي أنها لا تحترم قانون الشعوب والشعوب المغلب على أمرها[3] ،وهذه الشعوب تعيش حالة من الفوضى وحالة كبيرة من انتهاك لحقوق الإنسان لهذا يرى جون رولز في أن قانون الشعوب أمر ضروري للخروج من هذه الحالة.

وهذا التقسيم للشعوب حسب جون رولز هو محاولة منه لتحديد معالم قانون يحكم العلاقات بين الشعوب الليبرالية والشعوب غير الليبرالية وبالتحديد الشعوب التي يطلق عليها جون رولز الشعوب المقبولة وهي الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة ويطلق عليها أيضا جون رولز اسم الشعوب جيدة التنظيم ،أما الأنواع الأخرى فيطلق عليها جون رولز اسم الشعوب غير جيدة التنظيم.

[1] جون رولز :قانون الشعوب ،ص18.

[2] أحمد المصباحي :فلسفة الحق كانط والفلسفة المعاصرة،ص157.

[3] جون رولز :قانون الشعوب ،ص19.

ثانيا :معايير وشروط قبول الشعوب في مجتمع الشعوب

ومن خلال قانون الشعوب يحاول جون رولز جمع الشعوب في مجتمع شعوب واحد من خلال بعث العلاقات بين الشعوب الليبرالية والشعوب غير الليبرالية فجون رولز يبحث من خلال هذا توسيع مجتمع الشعوب وفتحه أمام الشعوب غير الليبرالية لكن وفق شروط ومعايير معينة وهذه الشروط والمعايير حسب جون رولز هي:

- أن لا يكون للمجتمع أهداف عدوانية ويسلم أنه لا يستطيع أن يحقق غاياته المشروعة سوى عن طريق الدبلوماسية والتجارة وأي وسائل سلمية أخرى[1].

وهنا يشترط جون رولز النوايا السلمية للشعوب فهو يرى في ضرورة أن تبتعد الشعوب عن كل مظاهر العدوان سواء الداخلي في مجتمعها المحلي بين أفراد والأقليات الموجودة داخل الشعب أو الخارجي مع الشعوب الأخرى .

كما يرى جون رولز هنا قد يتبع مجتمع ما مذهب ديني من المفترض أن يكون شاملا يظهر تأثيره في الحكومة وسياستها الاجتماعية إلا أنه يجب أن يحترم النظام السياسي والاجتماعي للمجتمعات الأخرى ،كما يجب عليه دائما أن براعي في كل أعماله التوسعية أن يكون له سلوك سلمي اتجاه جميع الشعوب ولا يبحث في بسط سيطرته على الشعوب الأخرى وطمس هوياتها وجعلها تمشي وفق مبادئه كما على هذا الشعب البحث دائما على ارساء السلام والتسامح[2].

ومن هنا نفهم أن جون رولز يضع السلم والابتعاد عن العدوان هو الشرط الأول الذي يجب على الشعوب التحلي به لكي تقبل داخل مجتمع الشعوب ،حيث يجعلها تحليها بالسلام شعوب تراعي في كل اتصالاتها وتقاطعاتها مع الشعوب الأخرى الطرق السلمية وتبتعد عن العدوان ما يلم شمل الشعوب ولا يفرقها.

[1] جون رولز :قانون الشعوب،ص98.

[2] نفسه:98.

- يتكون المعيار الثاني من ثلاثة أجزاء:

- الجزء الأول : هو أن النظام القانوني المقبول لتلك الشعوب موازي مع الأفكار العامة والحسنة حول العدالة وحقوق الإنسان[1].

وهنا يرى جون رولز أنه يجب أن يكون الهدف المشترك الذي ينشده هذا المجتمع هو تحقيق العدالة أي أن تصبح العدالة هي الخير العام الذي يهدف إلى تحقيقه المجتمع ،كما يرى جون رولز أن هذا يضمن لجميع أعضاء الشعب الحقوق التي يطلق عليها الآن تسمية حقوق الإنسان والنظام الذي ينتهك هذه الحقوق لا يمكن أن ينشأ فيه تعاون اجتماعي وسياسي يجعله مجتمعا سمحا وكذلك المجتمع الذي يقر نظام الرق لا يمكن أن يكون فيه نظام قانوني سمح ،لأن الأوامر هنا تفرض بالقوة على الرقيق أي لا محل فيه إلى فكرة التعاون الاجتماعي.[2]

والوصول إلى تحقيق فكرة العدالة كخير عام حسب جون رولز يكون<< **وفق مبادئ التشاور التي تشكل النظم الأساسية لحماية حقوق وواجبات أعضاء الشعوب** >>[3].

ومن بين حقوق الإنسان الحق في الحياة أي الحق في وسائل العيش والأمان والحق في الحرية والتحرر من العبودية والاختراقات والاحتلال القهري والحق في قدر كاف من حرية الضمير لضمان حرية الدين والفكر والحق في الملكية الشخصية والحق في المساواة بين الجميع وعدم التفريق بين فئات وطبقات المجتمع ويرى جون رولز أن هذه الحقوق لا يمكن رفضها بأي سبب ولا يمكن القول فيها أنها خاصة بالشعوب الليبرالية أو الثقافة الغربية لأن هذه الحقوق تنص عليها العدالة الطبيعية التي ترى أن الإنسان أشبه بأخيه الإنسان لذا يعاملون نفس المعاملة .

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص172.

[2] جون رولز :قانون الشعوب،ص98.

[3] نفسه:ص105.

– الجزء الثاني: أن الواجبات القانونية والأخلاقية وكذلك الحقوق في تلك الشعوب تكون متساوية على جميع أفرادها[1]،ويرى هنا جون رولز أن النظام القانوني لشعب سمح يجب أن يكون نظاما يفرض واجبات و الزامات أخلاقية بنية صادقة على جميع الأشخاص داخل أراضي الشعب وكون أن هذا النظام ينظر إلى أفراد الشعب على أنهم عقلانيون ويتصفون بالسماحة وكذلك مسئولون وقادرون على أن يلعبوا دورا في الحياة الاجتماعية سيرون أن هذه الواجبات والالزامات تتفق مع مه فكرة العدالة كخير عام ولن يرونها أوامر مفروضة عليهم بالقوة وهم أيضا يعرفون الصواب من الخطأ،وهنا نجد أن هذا النظام القانوني يتضمن مشروعا للتعاون الاقتصادي والسياسي السمح وهنا ينظر هذا المجتمع إلى أعضائه أنهم أعضاء متعاونون فيما بينهم وهذا ما يدفعهم للتصرف والعمل وفق ما تمليه واجباتهم والزاماتهم الأخلاقية[2].

ومن خلال هذا يبحث جون رولز على المجتمعات التي تحمل أنظمتها مشاريع للتعاون بين أفرادها وهو بهذا يبحث عن مجتمعات تبتعد عن النظام الذي يعتمد على الرق لأنه لا يحمل مشروعا للتعاون بين أفراده فهناك ما يعرف بالعبد أو الرق الذي يعمل بلا حقوق والسيد الذي يجني الأرباح دون أن يتعاون مع الرق في انتاجها ويبحث جون رولز على الشعوب التي تكريس مشروع التعاون بين أفرادها لأن التعاون يغرس الوحدة بين أفراد الشعب ويبعدهم عن الصدام فيما بينهم من أجل الوصول إلى تحقيق المصالح كما يساعد التعاون على تكريس المبادئ الأخلاقية داخل المجتمعات وكذلك أن الشعب الذي يحمل نظامه مشروع للتعاون يكون لديه النية للتعاون مع غيره من الشعوب لأن هذا الشعب يلتزم بهذه المبادئ الأخلاقية مسبقا ولا يجد مانعا في ممارستها مع غيره.

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص172.

[2] جون رولز :قانون الشعوب،ص99.

– الجزء الثالث:هو أن يوجد اعتقاد مخلص وليس غير معقول لدى القضاة وسائر المسئولين الذين يتولون إدارة النظام القانوني[1] ،ومن هنا نفهم أنه على القضاة العمل بالقوانين التي تحقق العدالة كخير عام كما يجب عليهم الابتعاد على القوانين التي تعتمد على القوة لأنها تأتي بالتمرد وعليه إن رولز ينقا العدالة إلى دائرة المؤسسات القانونية ويمثلها في القضاة الذين عليهم أن يكرسوا حقوق الإنسان ويحموها ويبتعدون على تكريس الانتهاكات تحت اسم القانون ،لأن القانون يجلب التمرد إذا كان يحمل الظلم ويطبق بالقوة لهذا يجب علة القضاة العمل على تحقيق العدالة كخير عام للوصول إلى المساواة بين جميع أفراد الشعب وكذلك لضمان تمتع كل ذي حق بحقه وكذلك أداء كل فرد لواجبه في جو مناسب شفاف عادل آمن .

كما أن تطبيق العدالة يغرس القيم الأخلاقية السامية ويغرس روح التعاون داخل الشعب ويجعله متوحد متماسك ،ويركز جون رولز علة المؤسسات القانونية لأنها هي التي تفك النزاعات وهي التي تبحث عن حل كل مشاكل الأفراد وكذلك تفك الصدامات لهذا يجب أن تعمل على بث العدالة ،لكي يتماسك الشعب وإن حدث العكس فإن هذا إنذار لظهور الحروب الأهلية والآفات والانقسامات داخل الشعب.

ومن خلال ما سبق نفهم أن مجتمع الشعوب يقبل اضافة إلى الشعوب الليبرالية الشعوب غير الليبرالية ،لكن منها الشعوب السمحة التي لديها تصور سياسي عام للعدالة كخير عام ،كما يكون نظامها نظام تشاوري ،يعطي الحق للجميع في إبداء رأيه أي يكون أعضاءه فاعلين لهم كلمة رأي كما يقبل هذا المجتمع مبادئ قانون الشعوب التي تلتزم بها الشعوب الليبرالية .

[1] جون رولز :قانون الشعوب،ص99.

ومن خلال هذا تظهر لنا كونية المشروع الرولزي ويظهر لنا بحثه في الوصول إلى العدالة الكونية وهذا من خلال فتحه المجال في مجتمع الشعوب لجميع الشعوب التي تتوافق مع المعايير التي وضعها جون رولز وهذه الشروط والمعايير وضعها جون رولز لكي يضمن تواجد شعوب تسعى إلى التعاون وإلى التعايش السلمي لا لغير ذلك ،كما أننا نفهم من خلال هذه المعايير أن جون رولز لا يرفض الشعوب لعرقياتها أو لدينها أو توجهاتها المذهبية فهذه الأخيرة لا تشكل عائقا أمامه فهو يخاطب جميع الشعوب مهما كانت دياناتها لكن شرط أن تكون سمحة تشاورية تعترف بقانون الشعوب .

ويؤكد جون رولز موقفه هذا من خلال مثال يعطيه لنا عن شعب سمح تشاوري يسميه كازانستان وهو شعب اسلامي افتراضي وفيه يقول جون رولز : << **كازانستان شعب هرمي سمح لا ينص النظام القانوني لكازانستان على الفصل بين الدين والدولة والإسلام هو الدين الغالب ولا يسمح لغير المسلمين أن يشغلوا المراكز العليا السياسة ،في الوقت نفسه يوجد تسامح إزاء الديانات الأخرى** >>[1].

وعليه إن شعب كازانستان شعب هرمي سمح يحترم حقوق الإنسان ،يضمن للأقليات الأخرى العيش بسلام وتسامح كما يضمن لها أداء طقوسها الدينية بحرية ويعطيها كامل حقوقها المدنية ويعامل جميع أفراده بالمساواة ولا يوجد تفريق بينهم .

وهنا يمثل جون رولز للشعوب الهرمية السمحة بالشعوب الإسلامية فهي شعوب غير عدائية تراعي حقوق الإنسان ،وخاصة حقوق غير المسلمين وأن المعارضة وحق إبداء الرأي موجود ومسموح به لغير المسلمين،كما إنه على الحاكم وضع آراء المعارضة في الحسبان والأخذ بها في صنع القرارات السياسية[2].

[1] جون رولز :قانون الشعوب،ص108-109.

[2] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص172.

ورغم أن غير المسلمين لا يمكنهم الوصول إلى المواقع السياسية السيادية في الشعوب الإسلامية إلا أن حقوقهم المدنية والاجتماعية محفوظة ويمكنهم المشاركة في المسائل المتعلقة بالمجتمع والدفاع عنه[1].

ومع أن شعب كازانستان شعب افتراضي إلا أنه يمكن الوصول إليه يقول جون رولز: << **رغم أن مجتمع كازانستان مجتمع افتراضي لا أعتقد أنه من غير المعقول أن يوجد وخاصة أن له سوابق في عالم الحقيقة والواقع**>>.[2] ويقصد جون رولز هنا بالسوابق في عالم الحقيقة والواقع أن وضع شعب كازانستان يشبه وضع الدولة الإسلامية قبل قرون فمثلا تسامح الإمبراطورية العثمانية مع اليهود والمسيحيين ،بل وأكثر من ذلك دعوهم إلى العاصمة القسطنطينية ،و من خلال هذا يسن جون رولز ثلاث مبادئ في الدين وهي :أن جميع الأديان المعقولة مقبولة ويرى أن الاختلاف الديني مقبول لأن هذا حسبه هو إرادة الله ،ويرى أيضا أن مسألة العقاب حول الاعتقاد الخطأ مرجعه الله وحده كما يرى أنه على المجتمعات ذات الأديان المختلفة أن تحترم بعضها البعض ويرى أيضا أن الإيمان بالدين فطرة في البشر[3].

وهنا يضع جون رولز يده على الجرح أو بالأحرى المشكل الذي يطرح العدوان والتصادم والتنافر والتفرقة بين الشعوب ألا وهو الدين أو المعتقد الذي يعتقده كل شعب فهناك شعوب لا تؤمن بفكرة الاختلاف الديني وترى أن دينها هو الصحيح وترى من يدين بغير دينها فهو العدو وهو الشر والآخر الذي يجب الابتعاد عنه ومعاداته وعدم القبول به ،كما لا تؤمن بعض الشعوب بأن الله هو الذي يحاسب على الاعتقاد الخاطئ فهي تبدأ في خلق المشاكل والعقوبات وحتى الاعتداءات للشعوب التي لا تدين بدينها وبمعتقداتها .

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص172.

[2] جون رولز :قانون الشعوب،ص111.

[3] نفسه :ص124.

وفي مجتمع الشعوب يسن جون رولز هذه المبادئ المتعلقة بالدين حيث يبعد كل المسئولية التي تخص الدين عن البشر ويرجعها إلى الله وحده من خلال ارجاع مسألة الاختلاف الديني إلى الله وكذلك مسألة العقاب للخاطئين في الاعتقاد حيث يبعد المسئولية عن كل البشر.

من خلال المبادئ التي سنها جون رولز حول مشكلة الدين والاختلاف الديني يحاول رولز الخروج من الخلافات والتصادمات بين الشعوب حيث يشترط احترام الشعوب مختلفة الأديان لبعضها البعض وعليه أن أي شعب لا يحترم الشعب الآخر فهو غير مقبول في مجتمع الشعوب لأن جون رولز يبحث في مجتمع الشعوب جمع شعوب سمحة لها نية التعاون غير عدوانية تحترم نفسها وغيرها كما تقبل بالآخر المختلف في الثقافة والمعتقد وتتعايش معه بسلام وتحترم حقوق الإنسان ومن هنا يبحث جون رولز على بث روح السلام والعدالة والتعاون وكل السمات الاخلاقية داخل مجتمع الشعوب لكي يشكل بنية متماسكة .

ومن هنا نصل إلى المعيارين اللذان يعتبران الأساس لدخول الشعوب إلى مجتمع الشعوب وهما:

- ضرورة احترام الشعوب لحقوق الإنسان داخل مجتمعاتها وخارجها .
- أن لا تكون هذه الشعوب عدائية في سياساتها الخارجية[1].

ويصر جون رولز على هذين المعيارين لأن الأول حقوق الإنسان يعطي للإنسان كرامته وحقوقه في الحرية الملكية والتعبير وحرية الضمير والحفظ من القتل والتشريد والمجاعة والأمراض ،كما تمنع هذه الحقوق التدخلات الخارجية العدوانية وتضمن استقلال الشعوب واستقلال مؤسساتها،في حين يضمن الثاني المعيار الاول كما يضمن سلامة ملكيات الشعوب ويضمن السلام والعدالة الكونية.

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص173.

المبحث الثالث :آليات وقواعد تعامل الشعوب

أولا : آليات وقواعد تعامل الشعوب المقبولة

1 – قاعدة التسامح :

ولكي يجمع جون رولز الشعوب مع بعضها البعض في مجتمع الشعوب ويقوي علاقاتها ببغضها البعض يضع جون رولز مجموعة من القواعد ومن بين القواعد التي وضعها جون رولز قاعدة التسامح والقبول والتي يعني بها جون ورلز فك ونزع العقوبات المفروضة على الشعوب غير الليبرالية وقبولها كأعضاء في مجتمع الشعوب أعضاء لهم نفس الحقوق متساوين مع الشعوب الليبرالية يقول في هذا: **<< والتسامح لا يعني فقط الامتناع عن ممارسة العقوبات السياسية – عسكرية أو اقتصادية أو دبلوماسية – لحمل شعب من الشعوب على أن يغير سلوك حياته بل يعني التسامح أيضا قبول هذه المجتمعات غير الليبرالية كأعضاء مشاركين على قدم المساواة ولهم مكلنة جيدة في مجتمع الشعوب >>**[1].

يرى جون رولز أنه بعد الاتفاق في قانون الشعوب بين الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة قد تظهر شعوب ترى أن الشعوب السمحة لا يوجد ما يؤهلها للمشاركة في انشاء قانون الشعوب ولهذا يرى جون رولز بضرورة اثبات عكس هذه النظرة بوجوب وجود صفة في الشعوب الليبرالية العادلة وهذه الصة هي التسامح ،وهذه الصفة تجعلهم يكونون متسامحين مع الشعوب السمحة ولا يحاولون فرض ليبراليتهم على تلك الشعوب ولا يظنون أن الصيغة النهائية للعدالة المعقولة هي الصيغة الموجودة في مجتمعاتهم فقط[2].

وتعد هذه القاعدة الحجر الأساس لقيام العلاقات بين الشعوب لأن تسامح الشعوب الليبرالية مع غيرها هو جوهر الخروج من النزاعات والصدامات بين الشعوب وتسامح الشعوب الليبرالية يعني الاعتراف بكيانه وبحقوقه وبفعاليته في مجتمع الشعوب.

[1] جون رولز :قانون الشعوب ،ص91.

[2] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة،ص171.

كما يرى جون رولز أن الحاجة للتسامح تكمن في قبول التعددية لأن حسبه الفرد الليبرالي يقيم الفرد غير الليبرالي انطلاقا من ما يراه هو كليبرالي مثلا يحكم على السياسة من خلال التصور السياسي الليبرالي المعقول ،وعندما يجدون أن تصورات الشعوب غير الليبرالية في الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الأخلاقي أو الاجتماعي فإنهم يرون أنه من الصواب أن تخضع هذه المجتمعات إلى نوع من العقوبات.[1]

ومنه نفهم أن سبب رفض الشعوب الليبرالية لغيرها من الشعوب هو راجع دائما لمحاولتها جعل الشعوب ليبرالية أو أنها تخضع لعقوبات بسبب أن كل الشعوب التي لا تتماشى وفق التصور الليبرالي هي شعوب تخالف حقوق الإنسان وشعوب تستحق الخضوع للعقوبات وتفرض عليها عقبات وقيود حتى تتبنى التصور الليبرالي ،ولهذا يرى جون رولز بضرورة أن تتحلى الشعوب اليبرالية بقاعدة التسامح وأن تتقبل وجود الشعوب غير الليبرالية وتعترف بمشاركتها في مجتمع الشعوب.

2 – قاعدة المساعدة :

كما يرى جون رولز بضرورة أن تتعاون الشعوب الليبرالية مع الشعوب الأخرى يقول: <<**على الشعوب الليبرالية أن تتعاون مع جميع الشعوب التي لها مكانة جيدة وأن تساعد هذه الشعوب** >>[2].

ومن خلال هذا يأتي جون رولز بقاعدة أخرى تتعامل بها الشعوب فيما بينها وهي قاعدة التعاون والمساعدة فجون رولز يرى أنه على الشعوب الليبرالية بحكم ما تملكه من مؤهلات في جميع المجالات يجب أن تساعد الشعوب السمحة التي تشاركها مجتمع الشعوب وتتعاون معها في انشاء مشاريع مشتركة وتساعدها على زيادة تطورها كما تساعدها على حماية حقوق الإنسان وإبقاء السلام بينها.

[1] جون رولز: قانون الشعوب،ص92.

[2] نفسه :ص91.

إن جون رولز يسير شيئا فشيئا لربط المجتمعات ببعضها البعض وإزالة كل الخلافات والتصادمات التي تشهدها الساحة الدولية فبعد أن رأى جون رولز أن الدين هو الذي يمثل العائق الأول أمام إتحاد الشعوب قام بسن مجموعة من المبادئ ليزيل هذا الخلاف بإرجاعه كل الأمور التي تخص الدين إلى الله ورأى في أن ما يهم في مجتمع الشعوب هو المجتمع كمجتمع مكون من أفراد دون الاهتمام بمرجعياتهم ومعتقداتهم المهم هو التزام هذه الشعوب بقوانين قانون الشعوب وكذلك تناسبهم مع معايير الشعوب المقبولة في مجتمع الشعوب .

كما قام بسن مجموعة من القواعد التي يهدف من خلالها إلى دمج الشعوب في بعضها البعض وخلق روح التعايش بينها من خلال قاعدة التسامح التي تقر بأن تتقبل الشعوب الليبرالية وجود الشعوب السمحة كشعوب شريكة ومساوية لها في مجتمع الشعوب وبعد هذا يعطي جون رولز قاعدة أخرى وهي قاعدة التعاون والمساعدة فبع القبول تدخل الشعوب في التعاون والمساعدة وهذا ما يقوي الشراكة بين الشعوب ويجعلها تأسس مشاريع ومؤسسات مشتركة فيما بينها،ومن خلال هذا يصل جون رولز إلى وضع المعايير التي تتعامل بها الشعوب الليبرالية مع الشعوب السمحة أي الشعوب المقبولة الشعوب جيدة التنظيم والتي تشكل مجتمع الشعوب والتي يدرجها رولز تحت ما يسمى بالنظرية المثالية.

وبالمقابل من هذا توجد الشعوب التي لا تستطيع أن تدخل في مجتمع الشعوب والتي يدرجها جون رولز تحت ما يسمى بالنظرية غير مثالية وهي الشعوب العدوانية والشعوب المغلوب على أمرها وهي شعوب غير جيدة التنظيم ،وكون هذه الشعوب غير جيدة التنظيم لا تستطيع الدخول في قانون الشعوب فهي تشكل عائقا أمامه فهي تمثل حاجزا أمام قانون الشعوب ليحوي جميع الشعوب وعليه كيف يجب التعامل معها حسب جون رولز أو بصورة أخرى ما هي المعايير التي تعامل بها الشعوب جيدة التنظيم الشعوب غير جيدة التنظيم؟

يؤكد جون رولز أن الشعوب جيدة التنظيم تتميز بصفة جوهرية وأساسية وهي أنها ترغب في أن تعيش في عالم تقبل فيه جميع الشعوب وتتبع قانون الشعوب كمثل أعلى[1]،فما هو السبيل إلى هذا يا جون رولز؟

ثانيا :آليات التعامل مع الشعوب غير المقبولة

وفي سعي جون رولز إلى تقديم الحل والسبيل والآلية للتعامل مع الشعوب غير جيدة التنظيم يقسم جون رولز هذه الشعوب إلى نوعين :

- يتعامل النوع الأول مع حالة عدم الإذعان أي مع الحالة التي ترفض فيها بعض نظم الحكم أن تلتزم باحترام قانون الشعوب، وتعتقد هذه الشعوب أن السبيل الوحيد لشن هو أن تحقق هذه الحروب المصالح العقلانية .
- يتعامل النوع الثاني مع الشعوب التي تعاني من ظروف غير مواتية حيث تمر بظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية تجعلها هذه الظروف غير قادرة على أن تكون شعوب جيدة التنظيم[2].

ومن هنا يصف لنا جون رولز حالتين غير مرغوب فيهما في مجتمع الشعوب لأنهما تعيقانه وتمسان بكرامة الشعوب وحريتها ويلخص لنا رولز الحالتين حيث تتحدث الحالة الأولى عن الشعوب العدوانية التي تحاول الاعتداء على الشعوب الأخرى ،أما الحالة الثانية تتحدث عن الشعوب المنكوبة التي تعاني مشاكل داخلية[3]،وتعد كلتا الحالتين غير مثالية يجب التعامل معها ومحاولة كبحها والحد منها لأنها تهدد استقرار مجتمع الشعوب وتعيق اكتماله كما تحمل مشاكل كبيرة للبشر ولعل أهمها و أبرزها هو الانتهاك الكبير لحقوق الإنسان التي تصبح لا معنى لها عند اندلاع الحروب أو عند تدهور الأوضاع الصحية والمعيشية للشعوب.

[1] جون رولز: قانون الشعوب،ص129.

[2] نفسه :ص130.

[3] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص175.

1 – قاعدة الحرب العادلة :

إن قانون الشعوب جاء لكي يضمن المساواة بين الشعوب كما جاء لكي يرسخ بعض المبادئ ولعل أهم مبدأ جاء من أجله هو حماية حقوق الإنسان وضمان تمتع كل إنسان بها لهذا جاء هذا القانون بالحلول لكل الحالات التي تعيق تشكلها ومن بينها الحالات التي ذكرناها سابقا حيث يعطي جون رولز لكل حالة حل وآلية للتعامل معها ففي حالة الشعوب العدوانية التي تبحث عن الحرب للاستيلاء على الشعوب الأخرى يرى جون رولز أن الحل في هذا يكون بالحرب العادلة. ويؤكد جون رولز على أنه للشعوب الليبرالية والشعوب السمحة الحق في الدفاع على النفس وهذا هو وأحد مبادئ قانون الشعوب ،كما يرى أن الحروب التي تكون دفاعا عن النفس من قبل الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة في حالة وقوع استيلاء عليها هي الحرب العادلة[1].

ومن هنا نفهم أن جون رولز يقصد بالحرب العادلة الحرب التي تقوم دفاعا عن النفس ولإيقاف الاعتداءات الخارجية من قبل الشعوب العدوانية ،وكذلك لوقف انتهاك حقوق الإنسان وكذلك لوقف الحروب التي يكون الأساس فيها هو البحث عن المصالح العقلانية وهذه هي الحرب التي يرفضها جون رولز ويمنع منها أية دولة يقول: << **ليس لأي دولة الحق في اللجوء إلى الحرب سعيا إلى تحقيق مصالحها العقلانية ،لكن يعطي قانون الشعوب لجميع الشعوب جيدة التنظيم سواء الليبرالية أو السمحة وفي الحقيقة لأي مجتمع يطبق ويحترم قانون الشعوب الحق في الحرب دفاعا عن النفس** >>[2]،ومن هنا يبين جون رولز أن السبب الوحيد للحرب هو الدفاع عن النفس وكبح مظاهر انتهاك حقوق الإنسان كما يبين رفضه التام للحروب التي تكون تهدف إلى تحقيق المصالح العقلانية المتمثلة في البحث عن النفوذ والخيرات والثروات والمواد الطاقوية وللبحث عن القوة والسيطرة والهيمنة على الشعوب واستعبادها.

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص175.

[2] جون رولز :قانون الشعوب ،ص131.

يرى جون رولز أنه لا يمكن التسامح مع الدول العدوانية لأنها عدائية وخطرة ،كما أن الشعوب الأخرى تكون في مأمن لو تغير هذه الشعوب العدوانية او أجبرت على التغير كما يشترط جون رولز على الشعوب جيدة التنظيم الاسترشاد بقانون الشعوب في مواجهتها للشعوب العدوانية ونظم الشعوب الخارجة عن القانون لكي يحدد لها – يقصد هنا رولز قانون الشعوب – الهدف الهدف الذي ينبغي ان تضعه في اعتبارها كما يحدد لها الوسائل التي يجوز لها أن تلجأ إليها و تلك التي يجب تجنبها.[1]

ولكي يضمن جون رولز هذا ويضمن أن تكون الحرب عادلة وضع عدة مبادئ تقيد سلوك الحرب وهذه المبادئ هي:

- أن الغرض من الحرب العادلة التي تنشب من قبل الشعوب المقبولة أي الليبرالية والسمحة هو إيجاد صلح عادل ومستمر بين الشعوب وخاصة مع الشعب العدو الحالي للشعوب المقبولة.
- أن الشعوب المقبولة لا تحارب بعضها البعض بل تحارب الشعوب المعتدية التي أغراضها توسعية والتي تهدد الأمن والمؤسسات الحرة للشعوب المقبولة.
- في العمليات الحربية يجب على الشعوب المقبولة أن تميز وبحذر بين ثلاث فئات في العدو وهي:رجال السلطة والقياديون من الشعوب المعتدية وأفراد الجيش والمدنيون فالمجرمون وناشبوا الحرب هم الفئة الأولى دون الثانية والثالثة ويقصد رولز هنا فئة رجال السلطة والقياديون ،ويؤكد هذا اعتقاد رولز بخيرية الإنسان والشعوب وتعاملها مع الفطرة والعدالة[2].

[1] صابر راضي :الفكر السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا،ص106.

[2] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص176.

- على الشعوب المقبولة أن تراعي حقوق الإنسان لأفراد العدو قدر الإمكان من المدنيين والجنود ويكن هذا لهدفين :
  - إن هؤلاء الأفراد لهم نفس الحقوق كأعضاء في المجتمع البشري.
  - ولكي تتعلم تلك الشعوب كيفية التعامل مع حقوق الإنسان.
- الإدامة في حفظ تلك الحقوق ووضوح البيانات المتعلقة بتحقيق كلا النوعين من الصلح والسلم الداخلي للشعوب المعتدي عليها والدولي وبهذا تكون أهداف الحرب مفتوحة وواضحة وأن هذا التوضيح يقوم به رجال السياسة.
- يجب أن يكون لهذا التعقل الغائي العملي دور محدود في الحكم على حقانية الحرب وتنظيمها لأن قواعد الحرب تعين حدودا يجب أن لا تتجاوز مطلقا[1].

ومن هنا يبحث جون رولز من خلال هذه المبادئ أن تهدف الحرب إلى تحقيق السلام الدائم بين الشعوب والقضاء على العدوان والعمل على تغيير تصورات الشعوب العدوانية كما يرى جون رولز أن الحرب لا تكون ضد الشعب فهو يرى أن الحرب تكون ضد سادة وقادة الشعوب العدوانية الذين هم سبب الفتن والحروب لهذا يرى أنه يجب على الشعوب المقبولة التمييز بين الفئات الثلاث التي تشكل المجتمع والتركيز على فئة السادة والقادة دون لفئات الأخرى لأن هذه الأخيرة لا دخل لها في نشوب الحروب ويرى أيضا جون رولز في ضرورة مراعاة حقوق الإنسان في الحرب لأن أفراد هذه الشعوب لهم نفس الحق كأعضاء في المجتمع البشري وكذلك يؤكد جون رولز على حماية حقوق الإنسان لكي يكون هذا درسا للشعوب المعتدية لتتعلم من كيفية حماية حقوق الإنسان ولكي تتأكد من أن حقوق الإنسان لا مجال لانتهاكها حتى في الحرب وأنها محفوظة وستحفظ رغم كل شيء ورغم كل الظروف لأنها أمور فطر عليها الإنسان.

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص176.

وهذه هي المهمة الأولى حسب جون رولز لكن الهدف في المدى الطويل هو ان تجتمع كلمة الشعوب جميعا في نهاية الأمر على احترام قانون الشعوب ،ولكي يتحقق هذا الهدف حسب جون رولز << **لابد لها أن تستخدم ممارسات ومؤسسات جديدة تكون مركزا كونفيديراليا ومنبرا عاما للإعراب عن وجهة نظرها تجاه نظم الحكم غير جيدة التنظيم** >>[1]، وهنا يوجه جون رولز الحديث للشعوب جيدة التنظيم حيث يرى أن بلوغ هدفها هذا يكون من خلال انشاء مركز فيدرالي ويقصد به جون رولز ما يشبه هيئة الأمم المتحدة حيث يرى بضرورة انشاء هذه المنابر المشتركة للإعراب عن وجهات نظرها تجاه الشعوب العدوانية لكشف أنماط سلوكياتها الوحشية وكذلك تكشف حالات انتهاك حقوق الإنسان للحد منها والقضاء عليها من خلال الحرب العادلة وفرض العقوبات على هذه الشعوب لكي تعود على أفعالها وتغير من سلوكها ، ومن هنا نفهم أن الهدف من الحرب العادلة هو الدفاع عن النفس ورد العدوان والعمل على القضاء عليه ومحالة تغيير سلوكيات الشعوب العدوانية ووجهات نظرها تجاه الشعوب الأخرى ونقلها لأن تكون سمحة وبالتالي تدخل ضمن مجتمع الشعوب.

2 – قاعدة المساعدة :

هذا فيما يخص النوع الأول من الشعوب ،أما النوع الثاني وهو الشعوب المغلوبة على أمرها والشعوب المثقلة بالمشاكل والظروف الاقتصادية والسياسية المزرية التي تمنعها من أن تكون شعوب جيدة التنظيم فإن جون رولز يرى أن المنهج الذي يجب أن تتبعه الشعوب جيدة التنظيم تجاه هذه الشعوب المغلوبة علة أمرها هي آلية أو قاعدة المساعدة ،لذا يرى جون رولز أنه على المجتمعات جيدة التنظيم تقديم المساعدات للشعوب المغلوب على أمرها لكي تصبح هذه المجتمعات قادرة على ان تدخل إلى قانون الشعوب[2]،وتكون جزء من مجتمع الشعوب وبالتالي تتخلص من مشاكلها وظروفها المزرية.

[1] جون رولز :قانون الشعوب،ص133.

[2] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص177.

ويرى جون رولز أن الحل الوحيد لكي تخرج الشعوب المغلوبة من حالتها هذه هو المساعدة من طرف الشعوب جيدة التنظيم لذا يؤكد على ضرورة المساعدة حين يقول: <<**على الشعوب جيدة التنظيم واجب مساعدة المجتمعات المغلوب على امرها** >>[1].

وعن نوع المساعدات التي تقدمها المجتمعات جيدة التنظيم إلى المجتمعات المغلوبة على امرها يؤكد جون رولز أن تقديم الأموال ليس كافيا لتصحيح المظالم السياسية والاجتماعية رغم ان الأموال تكون في أحوال كثيرة ضرورية ولكن قد ينجح التأكيد على حقوق الإنسان في تغيير حكومات غير فعالة وتغيير سلوك الحكام الذين لا يلقون أدنى اهتمام إلى سعادة شعوبهم[2].

وهنا يرى جون رولز أن حكام الشعوب المغلوب على أمرها لا يهتمون بحقوق الإنسان ولا يبحثون على تحقيق سعادة شعوبهم لهذا تعاني شعوبهم ظروف كارثية ويربط هذا جون رولز بالمجاعات التي ضربت العديد من الشعوب حيث يرجع جون رولز السبب في حدوث هذا إلى عدم الاهتمام بحقوق الإنسان وعدم تحمل المسؤولية تجاه شعوبهم وتركه يعاني وضرب حقوقه عرض الحائط يقول جون رولز : <<**الحكومات التي لا تهتم بحقوق الإنسان هي تلك الحكومات التي تقف مكتوفة الأيدي وتترك الشعب يتضور جوعا بينما يمكن لها أن تحول دون ذلك**>>[3]،أي أن التأكيد على حقوق الإنسان يمكن أن يكون عاملا مساعدا لمنع حدوث المجاعات وأن يكون كذلك عاملا لزوال نظم الحكم الفاسدة التي لا تهتم بحقوق الإنسان وكذلك المطالبة بها تفسح الطريق لظهور المنظمات الحقوقية التي تساهم أيضا في القضاء على مظاهر انتهاك حقوق الإنسان كما تعرف الشعوب بحقوقها التي يجب أن تتمتع بها وتطالب بها رجال السلطة والحكام وتعمل على جلبها.

[1] جون رولز :قانون الشعوب ،ص146.

[2] صابر راضي :الفكر السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا،ص108.

[3] جون رولز :قانون الشعوب ،ص149.

ويرى جون رولز أن اعطاء الحقوق للإنسان يخفف من الظروف الاجتماعية القاسية فمثلا يرى أن إعطاء المرأة الحق في التصويت والتعليم وامتلاك الثروات وتسييرها يساعد على هبوط نسبة ومعدل المواليد وهذا ما حدث في أحد المدن الهندية وهكذا أدى احترام حقوق الإنسان أدى إلى تقليص معدل الولادات دون الرجوع إلى السلطة القهرية للدولة.[1]

كما يرى جون رولز أنه يجب الابتعاد عن استخدام القوة اتجاه هذه الشعوب لأن استخدام القوة اتجاهها يجعلها ترفض قانون الشعوب وتبتعد عنه ولا تعمل وفق قوانينه ومبادئه وفي هذا يقول جون رولز: << **إن استخدام القوة يباعد بينه وبين قانون الشعوب**>>[2]،ويرى جون رولز أنه يمكن مساعدة هذه الشعوب بنوع من النصح بدلا من القوة ويؤكد جون رولز على ضرورة استخدام النصح محل القوة لمساعدة هذه الشعوب لأن النصح لا يجعل هذه الشعوب تنفر من قانون الشعوب[3]،هذه المساعدة والمتمثلة في النصح قد تجعل هدف المجتمعات جيدة التنظيم يتحقق.

ومن هنا نصل إلى القول بأن هذه الآليات والقواعد يسعى من خلالها جون رولز إلى تحقيق الهدف الذي ينشده قانون الشعوب وهو جمع الشعوب في مجتمع للشعوب يكون يتسم بالسلام والعدالة والمساواة لهذا نجده يعمل على تغيير وجهة تفكير الشعوب غير المقبولة في قانون الشعوب حيث يضع أمام الشعوب العدوانية آلية الحرب العادلة والعقوبات لكي يغير من وجهة نظرها وتفكيرها ويجعلها تتخلى عن عدوانيتها وتتحول إلى شعوب سمحة لكي تستطيع الدخول في مجتمع الشعوب كذلك نفس الشيء بالنسبة للشعوب المغلوب على أمرها يضع أمامها آلية المساعدة لكي تتخلص من الظروف التي تحيط بها وتدخل في مجتمع الشعوب وكل هذه الآليات والقواعد تعمل على تطبيقها الشعوب المقبولة لكي تجمع معها الشعوب الأخرى .

[1] جون رولز :قانون الشعوب ،ص149-150.

[2] نفسه:ص150.

[3] نفسه:ص150.

وعليه ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن جون رولز يضع نوعين من القواعد والآليات التي تحدد العلاقات بين الشعوب يرتبط كل نوع بنوع من الشعوب ففي علاقة الشعوب التي تندرج ضمن النظرية المثالية وهي الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة يضع جون رولز قاعدتين الأولى هي قاعدة التسامح والقبول التي ترى بضرورة أن تتسامح الشعوب الليبرالية مع الشعوب السمحة وتقبل بها كعضو في مجتمع الشعوب له نفس الحقوق وبشكل مساوي والقاعدة الثانية هي قاعدة المساعدة حيث يرى جون رولز في أن تساعد الشعوب الليبرالية الشعوب السمحة وأن تتعاون معها وتنشأ معها مشاريع وشركات مشتركة بينهما.

أما فيما يخص آليات وقواعد التي تخص علاقات الشعوب جيدة التنظيم مع شعوب النظرية غير المثالية فإن جون رولز يضع قاعدتين الأولى هي قاعدة الحرب الباردة التي تخصص للشعوب العدوانية لكي تجبر على تغيير سياستها والقاعدة الثانية هي قاعدة المساعدة التي تخصص للشعوب المغلوب عبى أمرها لكي تخرج من حالتها هذه ومن خلال هذه المبادئ يبحث جون رولز على إقامة مجتمع للشعوب خالي من الحالات غير مثالية مجتمع مبني على التسامح والتعاون والمساعدة والنصح بين الشعوب مجتمع متماسك بفعل التفاعل الذي غرسه جون رولز في الشعوب من خلال قواعده التي سنها والتي يبحث من خلالها القضاء على كل الحالات التي من شأنها أن تنشر الخلافات بين الشعوب.

كما عمل جون رولز من خلال هذا على تجنب كل المظاهر المألوفة في الساحة الدولية والتي كانت السبب في تفرق واختلاف الشعوب وعليه فإن جون رولز من خلال مشروعه هذا يبحث في نشر السلام الدائم بين الشعوب والوصول إلى العدالة الكونية التي توجد ضمنيا في مجتمع الشعوب هذا المجتمع الذي يساوي بين جميع الشعوب المقبولة فيه والذي يعطي قانونه كامل الحقوق لكل الشعوب التي تحترمه وتسير وفقه كما يضمن هذا القانون الابتعاد عن التفرقة بين الشعوب.

ثالثا :جون رولز والواقع الغربي :

لقد شكلت أعمال جون رولز ثورة كبيرة في مجال السياسية والأخلاق ،فقد جلبت حولها الكثير من الاهتمام والدراسات ،فهنالك من قال عليه أنه شخص مثير ومبدع أعظم نظرية في مجال الفلسفة السياسية ،بل محدث انقلاب في فلسفة السياسة والأخلاق من خلال تجاوزه للتفكير المعتمد في الفكر الأنجلوسكسوني المعتمد على المذهب النفعي ،كما يدل على شهرته الكتب الكثيرة التي كتبت عليه وكذلك ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات حيث ترجمت أعماله إلى ما يقارب ثلاثين لغة،وكتب عن آثاره وأعماله أكثر من خمسة آلاف كتاب[1] .

ومن هنا ونظرا لشهرته الكبيرة هذه فإنه من الطبيعي أن يوجه له العديد من الانتقادات والتي شكلها أصحابها للرد على المشروع السياسي لجون رولز حيث خصصت لهذا العديد من الكتب التي يرد فيها أصحابها على أعمال جون رولز وما نتفق عليه أنه من المستحيل أن يتفق فيلسوف يخالف المذهب الرولزي مع أفكار جون رولز لأن كل مفكر أو فيلسوف يقر أعماله وينتقد أعمال الآخرين من خلال المذهب الذي يعتقده ويسير وفق مبادئه لهذا تبقى أعمال كل فيلسوف صحيحة من خلال وجهة نظره الخاصة وهنا سنركز عل بعض الانتقادات التي وجهت لجون رولز .

لقد واجهت نظرية جون رولز العديد من الانتقادات ولعل من بينها وأهمها النقد الذي وجه للموقف الأصلي وما ينطوي عليه من جهالة المتفاوضين بأوضاعهم والظروف التي يعيشون فيها حيث يرى النقاد هنا أن حجاب الجهالة يعيق المتفاوضين ويعجزهم عن الوصول إلى أي نتيجة أو أي قرار في عملية التفاوض[2]،حيث يرى النقاد في هذه النقطة أنها يعيق عملية التفاوض لأن المتفاوضين لا يعلمون أي شيء على ظروفهم وبالتالي على أي شيء سيتفاوضون إذا كانوا يجهلون أحوالهم وظروفهم فالمتفاوضون يبحثون تحسين ظروفهم هذا ما يدفعهم إلى اتخاذ قرارات تخدم هذا.

[1] تحسين حمه غريب :فيلسوف العدالة ،ص 78.

[2] أنطوني دي كرسبي وكيت مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ،ص151.

كما يوجه بعض الفلاسفة انتقاد لعملية التفاوض ،حيث يرى البعض أنه لا يمكن قيام المفاوضات في ظل الشروط التي وضعها جون رولز وعليه فإن الانتقاد يثور حول الطريقة التي وضعها جون رولز لكي تسير بها المفاوضات فيرى الكثير من المنتقدين أنه إذا سلمنا بقيام المفاوضات فليس هناك ما يفرض اطلاقا أن يلتزم المتفاوضون جانب الحيطة وأن يتبع كل منهم جانب المبدأ الذي يقضي عليهم بأن يراعوا أوضاع ذوي الامتيازات الأدنى خشية أن يكونوا منهم عندما يزال حجاب الجهالة[1]، وهنا يقصد منتقدي جون رولز في هذه النقطة أنه لا يوجد ما يلزم المتفاوضين بأن يتبعوا مبدأ الحيطة فربما يعتمدون على استراتيجيات أخرى فقد يغامرون في اختيار مبادئ أخرى غير مبادئ جون رولز.

إن واقعا كالواقع الغربي لا بد أن يحمل نقدا كبيرا للمشروع السياسي لجون رولز من عدة جهات فكون جون رولز يناهض ويعادي فكرة التمييز بين السود والبيض في أمريكا وكذلك رفضه الكبير للحروب التي تشنها أمريكا على الدول الأخرى خاصة حرب فيتنام التي رفضها جون رولز وكذلك إن مشروع جون رولز مصيره هو الرفض من الدول الليبرالية لأنه يزيل سياساته ومشاريعهم التي يجلبون من خلالها مصالحهم وثرواتهم تحت ما يعرف بحرب نشر الديمقراطية وهم من خلال هذا ينتهكون حقوق الإنسان ويقتلون ويشردون ويهجرون المجتمعات ويظهر هذا في العراق التي تحولت إلى خراب بعدما كانت تشكل حضارة قوية فبفعل الإرهاب الغربي زالت هذه القوة من الوجود لأنها كانت تهدد هذه الدول الغربية كمل أن دخولها وتدميرها كان هدفه الوصول إلى المنافع والثروات الباطنية للعراق وأخذها ونفس حدث في أفغانستان وبقية الدول التي استعمرت ،حيث نرى أن الدول الغربية تنتهج سياسة العداء لجميع الدول التي لا تعتقد نفس عقيدتها ولا تتبع نظمها السياسية والاقتصادية كما تخلق دائما المشاكل للدول التي ترفض هيمنتها وسيطرتها وتجابهها لكي تسقطها وتشتتها وهذا ما يحدث اليوم في العالم العربي من خلال الحروب الأهلية التي تقودها أشباه الجماعات الإسلامية.

[1] أنطوني دي كرسبي وكيت مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ،ص151.

إن الدول الغربية لن تقبل مشروعا كمشروع جون رولز وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لأنها لا تبحث التسامح والقبول للشعوب غير ليبرالية فهي تبحث دائما أسباب الصراع وتبحث دائما على تشويه المجتمعات الأخرى وجعلها شعوبا إرهابية عدوانية من خلال نشر ما يعرف بالجماعات الإسلامية التي تبحث الخراب والدمار والقتل وانتهاك كبير لحقوق الإنسان كل هذه هي ذرائع تخلقها الدول الغربية لكي تكسب الرأي العام الذي يؤيدها في دخول هذه الدول والشعوب واستعمارها وأخذ ثرواتها ومنافعها لهذا نقول إن الدول الغربية لن تقبل التسامح ومساعدة والتعاون مع الشعوب الأخرى لأن ما يحركها هو النظام النفعي الذي تبحث من خلاله هذه المجتمعات تحقيق منافعها ومصالحها بالقدر الكبير ،كما إننا نقول :**هل أن دولا تضحي بفئات لكي تضمن مصلحة الأغلبية داخل مجتمعاتها يمكنها النظر إلى مجتمعات أخرى لا تنتمي إليها؟**

هذا محال مادامت هذه الدول ضحت بفئات من مجتمعاتها فإنها بكل سهولة ستضحي بالمجتمعات الأخرى في سبيل تحقيق مصالحها بأي طريقة لأنها تجردت من إنسانيتها ،لهذا فهي لن تقبل المشروع الذي جاء به جون رولز وهذا الأخير تفطن إلى أن الدول لن تقبل مشروعه وأنها ليست خيرة ولا تبحث سوى على مصالحها لهذا اختار كلمة شعوب وليس دول فمشروعه يجب أن يدعم من طرف الشعوب لأنه يحمل العدالة والسلام للجميع ،كما أن مشروعه لا يحمل أي تمييز فهو مفتوح للجميع شرط أن تكون الشعوب سمحة وغير عدوانية مهما كانت عقيدتها وهذا يتأكد لنا من خلال قبوله للمجتمعات الإسلامية .

إن جون رولز من خلال مشروعه يبحث السلام بين الشعوب ويبحث نبذ الاختلاف والصدام من خلال مبادئ قانون الشعوب التي تعد الحل لما تعيشه الشعوب فهو يحمل في طياته كل السمات الأخلاقية العليا كالتسامح والتعاون والمساعدة ،لكن تطبيق هذا المشروع يبقى رهينة قبول المجتمعات الغربية به والمصادقة عليه **فهل تستطيع الدول الغربية التخفيف من حدة نظرها إلى مصالحها الخاصة والنظر إلى مصالح الشعوب الأخرى كمصالح مساوية لمصالحها وتقبل بالآخر الذي تراه دائما منافسا لها على أنه شبيه بها وصديق يجب التسامح معه وقبوله ومساعدته والتعاون معه ؟**

وفي الأخير نخلص إلى أن الهدف المتوخى وراء عدالة كونية على نطاق دولي هو توسيع نطاق العلاقات بين الأمم والشعوب لتشمل الساحة الدولية،على مستوى عالمي؛فهناك نبرة متفائلة لدى رولز في تحقيق العدالة العالمية في مجتمعات الشعوب وبعث روحاً جديدة في الليبرالية وفي أن توفق بين متناقضات الحداثة والديمقراطية وبين الحرية والمساواة والوصول بالشعوب والمجتمعات إلى الخروج من فكرة التصادم و الخلاف والنزاعات التي يعد سببها الوحيد هو الاختلاف العقائدي والذي قننه جون رولز من خلال اعتباره أن الدين وكل اختلافاته وأموره أمور تعود إلى الله وحده دون تدخل البشر فيها وعليه يعامل الأفراد في مجتمع الشعوب كناس متشابهين لهم نفس الحقوق والواجبات ويعاملون كإنسان واحد نظرا لطبيعته البشرية الواحدة التي يشتركون فيها دون النظر لعقائدهم ولا لتوجهاتهم المهم هو أن يحترموا المبادئ التي جاء بها قانون الشعوب ويعملون بها ومن هنا تجتمع الشعوب في ظل قانون واحد يعامل الكل وفقه وهذا ما يضمن العدالة بين الشعوب أي العدالة الكونية.

خاتمة

وختاما ومن خلال ما سبق نصل إلى مجموعة من النتائج والتي يمكن إجمالها في مايلي :

- يبحث جون رولز من خلال نظريته في العدالة إصلاح التصدعات التي آلت إليها الليبرالية حيث يعمل على إخراج المجتمعات الليبرالية من حالة اللاعدل ،ومن حالة الطبقية والتمييز ومن حالة المعانات والضعف والفقر،حيث يأتي بنظريته في العدالة لتكون بديلا للمذهب النفعي الذي يراه أنه سبب التصادم والاختلاف بين الأفراد والشعوب وأنه سبب الظلم واللاعدل.
- تتحدد نظرية العدالة كإنصاف عند جون رولز في :أ- مبدأ المساواة الذي يقرأنه للجميع الحق المتساوي في التمتع بالحريات الأساسية.

  ب- مبدأ التفاوت والذي يرمي إلى تحقيق أكبر مصلحة للفئات المحرومة الأقل دخلا والتي تعيش ظروف مزرية ومع فتح المجال في الوظائف والمراكز للجميع في شروط مساوية أي تكافؤ الفرص.
- إن مبادئ العدالة هذه تكون نتيجة توافق الجميع أي المتفاوضين في عملية التفاوض الذين يقرون من خلال هذه المبادئ :المساواة والحرية والتعاون بين بعضهم البعض.
- ينتقل جون رولز من العدالة في مجال الشعوب الليبرالية إلى العدالة في مجال مجتمع الشعوب العالمية أي من العدالة المحلية إلى العدالة الكونية.
- يؤسس جون رولز مجتمع الشعوب على أساس المساواة بين جميع الشعوب الموجودة فيه،حيث يرى أن كل الشعوب لها نفس الحقوق وتطبق عليها جميع نفس المبادئ كما أنه عليها جميعا أن تحترم مبادئ وقوانين قانون الشعوب.
- يظهر التجديد في مشروع جون رولز من خلال محاولة توسيع مجتمع الشعوب ليشمل أيضا إلى جانب المجتمعات والشعوب الليبرالية مجتمعات وشعوب غير ليبرالية لكن شرط ان تكون سمحة وحسنة التنظيم أي مقبولة وهنا تظهر النظرة الكونية لجون رولز والتي يبحث فيها عن جمع جميع الشعوب مهما كانت عقيدتهم وتوجهاتهم وما يؤكد هذا هو افتراضه لشعب كازانستان الإسلامي والذي استقاه من خلال تاريخ الحضارة الإسلامية والذي رأى فيه أنه شعب مقبول في مجتمع الشعوب.

- يضع جون رولز مجموعة من المبادئ والقواعد في قانون الشعوب يضمن من خلالها السير إلى تحقيق السلام الدائم ،وتحقيق التعاون وتحسين العلاقات بين الشعوب ،فتعد قاعدة التسامح التي يمليها على الشعوب الليبرالية بمثابة السلاح السحري ،الذي يبحث من خلاله جون رولز تحسين العلاقة بين الشعوب الليبرالية والشعوب غير ليبرالية .
- يركز جون رولز في قانون الشعوب على حقوق الإنسان ،التي يجب أن يتمتع بها جميع الشعوب دون تمييز ،سواء كانت مقبولة في مجتمع الشعوب أو مرفوضة ،فلا يجوز انتهاك حقوق الإنسان في أي مجتمع وتحت أي ظرف حتى وإن كان تحت ظرف الحرب فيجب ضمان حقوق الإنسان.
- تظهر لنا رغبة جون رولز في تجاوز الخلافات التي نعرفها اليوم بين الشعوب تحت ما يعرف الآن بصدام الحضارات ،من خلال توجهه مباشرة إلى السبب الرئيسي في هذا ،وهو الدين الذي تجاوزه جون رولز من خلال إرجاع كل ما يخصه من اختلاف وعقاب وحساب على الصواب والخطأ إلى الله وحده ،فهو يرى أنه لا يحق لأي بشر الأخذ في هذا ،وإنما عليهم العيش معا كأفراد متساوين من خلال إنسانيتهم وكل يهتم بعقيدته دون أن يمس حرية الآخر.

إذن وعليه يمكن القول أن مشروع جون رولز السياسي كفيل بأن يؤدي إلى الوصول إلى العدالة الكونية وبناء مجتمع تجتمع فيه جميع الشعوب تحت قانون واحد يضمن للجميع الحقوق والحريات ،ويفرض على الجميع نفس الواجبات دون تمييز ولا محاباة، مجتمع يعامل فيه جميع الأفراد كفرد واحد ،وعليه يمكن لمشروع جون رولز أن يصل بشعوب العالم إلى الابتعاد وتجاوز الصدام والصراع والعيش في أمان وسلام دائم ،والعيش وفق قيم أخلاقية سامية كالعدالة والمساواة والتعاون والاشتراك في تحقيق أسباب السعادة والرفاهية ،كما يضمن مشروع جون رولز أن تعاد لجميع الشعوب حقوقها المسلوبة من خلال تركيزه على حقوق الإنسان التي تنتهك اليوم بكل بساطة وبمراقبة الجميع ،لكن لا أحد يحرك ساكنا حتى الجمعيات الحقوقية والمنظمات التي تأسس من أجل هذا الغرض.

لكن مشروع ينادي بهذه المبادئ الأخلاقية والتي تعارض مبادئ الدول الليبرالية العظمى كالولايات المتحدة الأمريكية لابد أن يتعرض لنقد لاسيما من الجماعة النفعية البراغماتية التي تبحث المنفعة والمصلحة والتي شعارهم الدائم "لا صديق دائم لكن مصلحة " بطبيعة الحال لن يقبلوا بمشروع جون رولز لأنه يهدد اقتصادهم وسياساتهم التي يبحثون من خلالهما تحقيق مصالحهم والقضاء على كل منافسيهم الذين يعتبرون أمامهم خطرا حقيقيا يهدد وجودهم ويهدد سيادتهم للعالم لهذا لن يتحقق مشروع جون رولز على أرض الواقع لأنه كما قلنا يتعارض وسياسة الدول العظمى التي تبحث القوة والمصلحة لها لوحدها دون الشعوب الأخرى.

ومنه نقول رغم أن مشروع جون رولز يحمل الحل للخلاف والصدام بين الشعوب إلا أن تطبيقه يبقى محبوسا في أرشيف الدول الليبرالية العظمى وبالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية التي تبحث تكريس الصدام بين الشعوب وفي داخل الشعوب لكي تمحي وجودها وهوياتها وتمحي تاريخها ولكي لا تهدد وجودها ولا تنافسها ،كما أنها مستحيل أن تفرط في تحقيق مصلحتها والتي يكرسها مذهبها النفعي البراغماتي وهذا ما يبعدها على أن تتسامح مع شعوب أخرى وتقبلها إلى جانبها في مجتمع الشعوب ويمنعها كذلك عن التعاون معها ومساعدتها وإقامة شراكات معها لأن هذا حسبها يقلل من أرباحها فهي تبحث دائما أن تبقى جميع الشعوب غير الليبرالية وخاصة منها الإسلامية متخلفة ومنحطة تعيش حالة الفوضى والخراب لكي تتحول عندها إلى أسواق خارجية ومواطن للثروات الباطنية والبشرية ولكي تبسط عليها هيمنتها وتجعلها مراكز للتجارب المختلفة في كافة المجالات وعليه نقول إن أي مشروع يخرج الشعوب من هذه الأزمات لن يطبق لأن المشروع الأمريكي هو الذي يسود العالم بفعل قوتها لهذا فإن الصراع لن يتوقف وسيبقى قائما مادامت النفعية والبراغماتية هي التي تسير العالم وسيبقى الصراع بين العدالة القائمة على أساس المساواة والحريات الأساسية والعدالة القائمة على أساس المذهب النفعي أي بين جون رولز وبين بنتام وجون ستيوارت ميل ومن تبعهم من براغماتيين جدد.

قائمة المصادر والمراجع

أ – المصادر

1- جون رولز :قانون الشعوب،ترجمة محمد خليل ،منشورات المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،2007 .

2- ـــــــــ :نظرية في العدالة،ترجمة ليلى الطويل،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق،2011.

3- ـــــــــ :العدالة كإنصاف إعادة صياغة ،ترجمة حيدر حاج إسماعيل ،منشورات المنظمة العربية للوحدة،بيروت،2009 .

ب – المراجع

1- أبو النور حمدي أبو النور حسن:يورغن هابرماس الاخلاق والتواصل،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،لبنان،2012.

2- أحمد المصباحي:كانط والفلسفة المعاصرة ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ،2007.

3- إمانويل كانط :تأسس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ،الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة ،1965.

4- أنطوني ديك رسبني وكينيث مينوج:أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ،ترجمة نصار عبد الله ،منشورات الهيئه العامة المصرية للكتاب،مصر،1996.

5- تحسين حمه غريب : فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة،منشورات منتدى اقرأ الثقافي،2009.

6- جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر،ترجمة عادل العوا ،دار عويدات للنشر والطباعة ،لبنان،2001.

7- جان فرنسوا دورتي : فلسفات عصرنا ،ترجمة إبراهيم صحراوي ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،2009 .

8- جمال مفرج:الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات ،منشورات الاختلاف ،الجزائر، 2009 .

9- جون ستيوارت ميل :النفعية ،ترجمة سعاد شاهرلي حرار، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، 2012 .

10 - جون لوك :الحكومة المدنية ،ترجمة محمود شوقي الكيال،الدار القومية للنشر والطباعة،مصر.

11 - ديفيد جونستون:مختصر تاريخ العدالة ،ترجمة :مصطفى ناصر ،منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت،2012.

12 - سليمان بن صالح الخراشي : حقيقة الليبرالية وموقف الاسلام منها .

13 - السيد ولد أباه: الدين والسياسة والأخلاق:مباحث فلسفية في السياقين الإسلامي والغربي،دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، بيروت، 2014.

14 - الطيب بوعزة :نقد الليبرالية ،دار تنوير للنشر والاعلام ،مصر ،2013 .

15 - مجموعة مؤلفين :الفلسفة الأخلاقية :من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء،منشورات الإختلاف،الجزائر ،2013.

16 - مجموعة مؤلفين :الفلسفة الغربية المعاصرة،ج 2 ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،2013.

ج – المعاجم والموسوعات

1- أندري لالاند :موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة خليل أحمد خليل،المجلد الأول،منشورات عويدات ،بيروت،ط 2 ،2001.

2- مصطفى حسيبة :المعجم الفلسفي ،دار أسامة للنشر والتوزيع ، الاردن ،2009.

ه – المجلات

1- مجلة الفلسفة،العدد العاشر ،2013 .

و – الرسائل الجامعية

1- هاله صدقي ناصر الساعدي :الليبرالية والأخر،إشراف : رسالة ماجيستار غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة الكوفى ،العراق ،2011.

الفهرس

الإهداء

شكر وتقدير

المقدمة

الفصل الأول: الليبرالية ومعضلة العدالة 4

المبحث الأول: في الليبرالية 5

أولا: مفهوم الليبرالية وأسسها 5

ثانيا: الليبرالية من الطور الكلاسيكي إلى الطور المعاصر 8

ثالثا: الليبرالية وواقع العدالة 11

المبحث الثاني : جون رولز حياته ومرجعيته الفكرية 13

أولا :حياته 13

ثانيا :أعماله 15

ثالثا :مرجعيته الفكرية 16

الفصل الثاني :نظرية العدالة عند جون رولز 20

المبحث الأول :نقد المذهب النفعي ومفهوم العدالة 21

أولا: نقد مذهب المنفعة 21

ثانيا : مفهوم العدالة 27

المبحث الثاني :الوضع الأصلي وحجاب الجهالة 31

أولا:الوضع الأصلي 31

ثانيا :حجاب الجهالة 36

المبحث الثالث: في مبادئ العدالة 40

أولا :المبدأ الأول 41

ثانيا :المبدأ الثاني 43

ثالثا :ترتيب المبادئ 46

الفصل الثالث: قانون الشعوب وتجسيد العدالة الكونية 49

المبحث الأول:مفهوم قانون الشعوب ومبادئه 50

أولا :مفهوم قانون الشعوب 50

ثانيا :مبادئ قانون الشعوب 54

المبحث الثاني :أنواع الشعوب ومعايير قبولها في مجتمع الشعوب 58

أولا :أنواع الشعوب 58

ثانيا :معايير قبول الشعوب 60

المبحث الثالث:آليات وقواعد تعامل الشعوب مع بعضها البعض 67

أولا: آليات وقواعد تعامل الشعوب المقبولة 67

ثانيا : آليات وقواعد تعامل الشعوب غير المقبولة 70

ثالثا :جون رولز والواقع الغربي 78

خاتمة 82

قائمة المصادر والمراجع 86

الفهرس 92

تم بعون

اللّٰه